من صفات الدعاة : الستر

د. حمزة بن سليمان بن راشد الطيار
قسم الدعوة والاحتساب ـ كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

إعداد الداعية وتكوينه من ألزم الأمور لنجاح الدعوة، ومن أبرز العناصر الرئيسة في إعداد الدعاة صفاتهم، فلابد لمن يضطلع بهذا الواجب العظيم أن يتصف بصفات المخلصين، وخصال المصلحين الصادقين. وقد عرضت في هذا البحث لصفة من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الداعية ألا وهي صفة "الستر" ضماناً لنجاح الدعوة، وتأكيداً على سلوك طريق الحكمة في الدعوة إلى الله. وقد عرض البحث لشروط الستر وضوابطه وما هي الحالات التي يستر فيها الداعية، والحالات التي لا يستر فيها، وذلك حتى يكون الدعاة على بصيرة من أمرهم وهم يدعون إلى الله عز وجل. وظهر أيضاً أن الستر يشمل ستر الإنسان على نفسه، وعلى غيره، وأن النبي الكريم، وصحابته الكرام والسلف الصالح أعطوا نماذج عملية للستر وتطبيقه في المجتمع ليجد الناس عامة – والدعاة خاصة- القدوة والمثل الصالح في تطبيقات الستر. وقد وضح أن للستر أثراً على المجتمع بما يتركه من إشاعة الخير والبر والفضيلة والعفاف. ثم أبنت من خلال هذا البحث عن الدوافع التي قد تغري الإنسان إلى هتك الستر، والوسائل التي قد تستخدم في هذا، ثم سردت جملة من الموانع التي تحول بين الإنسان وبين هتك ستر غيره عسى أن تكون هذه الموانع سبباً من أسباب تُعوِّد المؤمن على الستر في أموره كلها وفق الضوابط الشرعية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام الدعاة إلى الله محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد:

فإن الدعوة إلى الله، غاية شريفة، وعمل نبيل، ولأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الشرائع والكتب، واختار الله من بين خلقه صفوة البشر ليكونوا مبلغين لوحي الله عز وجل وحاملين للدعوة على هدى من الله وبصيرة قال الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (١).

وكان خاتم النبيين وآخر رسل الله رب العالمين محمد ﷺ قد حمل بين جنبيه من الصفات العظيمة، والخلال الكريمة ما يعينه على تبليغ دعوته، والوصول بها إلى مدعويه حتى قال الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنهما عن خلق النبي ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن" (٣).

وإذا كان خبر السماء قد انقطع بموت رسول الله ﷺ فقد حمل راية الدعوة إلى الله من بعده أصحابه الكرام يتلمسون خطى نبيهم، ويهتدون بهديه ويتخلقون بأخلاقه الكريمة، وسجاياه العظيمة.

ومع تطاول الزمان، ومرور الأيام كان للدعاة إلى الله - في العصر الحديث- نصيب من ميراث النبوة في حمل راية الدعوة، ونشر الإسلام في كل مكان وزمان،

---

(١) سورة الحج آية ٧٥.

(٢) سورة القلم آية ٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، حديث رقم ٧٤٦، ص ٣٠١ وهو جزء من حديث طويل.

وهذا بلاشك يتطلب ويستلزم ممن يضع نفسه في مصاف الدعاة أن يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومن هنا وجبت العناية بأخلاق الداعي وصفاته.

وإذا كان الناس - بلا ريب- مجبولين على الخطأ، وهم بطبعهم خطاؤون، وللذنوب مقترفون ؛ فقد وجدت الحاجة ماسة إلى الكتابة في صفة من ألزم الصفات التي يجب أن يستصحبها الدعاة في معاملاتهم مع الناس ألا وهي صفة: الستر وسأقوم في هذا البحث ببيان مفردات هذه الدراسة، والتطرق لمعاني الستر في القرآن والسنة، وسرد النصوص الشرعية التي تدعو إلى الستر ثم بيان ضوابط الستر وشروطه، وأنواع الستر وتطبيقاته، وأثر الستر على المجتمع، ثم الحديث عن هتك الستر بين الدوافع والموانع وذلك حتى تكون صورة الموضوع متكاملة واضحة يسلم قياد أولها إلى آخرها.

وفي الختام كانت هذه السطور تذكيرا بصفة الستر لما لها من أهمية في واقع المجتمع الإسلامي، وبياناً لضوابطها وشروطها في ضوء النصوص الشرعية.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث قارئه وكاتبه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

تمهيد: حول صفات الدعاة:

إن الدعوة إلى الله عز وجل هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والربانيين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى؛ لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشر.

"ودعوة الإسلام العظيمة الشاملة لابد لها من دعاة أقوياء يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم بعد أن تشرق بها جوانحهم هم، وتستضئ بها حياتهم. إن هذا الداعية المنشود هو القوة المحركة لعملية الدعوة وحركة سيرها. وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج، لأن شرطها الأول لم يتحقق وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة"[1].

ومن ثمَّ كان إعداد الداعية وتكوينه من ألزم الأمور لنجاح الدعوة، ومن أبرز العناصر الرئيسة في إعداد الدعاة: صفاتهم فلابد لمن يضطلع بهذا الواجب العظيم أن يتصف بصفات المخلصين، وخصال المصلحين الصادقين.

"وصفات الدعاة وعدتهم تشمل كل معطيات الدين الحنيف ومقرراته من أخلاق ونهج ومعاملات وسمت وبصر وروية وعلم ... وكلما قصّر الدعاة في التخلق بأخلاق الإسلام عجزوا بعدئذ عن القيام بواجب الدعوة حق القيام.

ومن تأمل أنساق الحركات الإصلاحية التي تنأى في بعض توجهاتها عن هدي النبوة، ومن تأمل ما يقع فيه بعض الدعاة من أخطاء وزلل وشطط، وجد أن السبب في

(١) ثقافة الداعية، د/ يوسف القرضاوي ص ٦، ط/٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

وهذا بلاشك يتطلب ويستلزم ممن يضع نفسه في مصاف الدعاة أن يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومن هنا وجبت العناية بأخلاق الداعي وصفاته.

وإذا كان الناس - بلا ريب- مجبولين على الخطأ، وهم بطبعهم خطاؤون، وللذنوب مقترفون؛ فقد وجدت الحاجة ماسة إلى الكتابة في صفة من ألزم الصفات التي يجب أن يستصحبها الدعاة في معاملاتهم مع الناس ألا وهي صفة: الستر وسأقوم في هذا البحث ببيان مفردات هذه الدراسة، والتطرق لمعاني الستر في القرآن والسنة، وسرد النصوص الشرعية التي تدعو إلى الستر ثم بيان ضوابط الستر وشروطه، وأنواع الستر وتطبيقاته، وأثر الستر على المجتمع، ثم الحديث عن هتك الستر بين الدوافع والموانع وذلك حتى تكون صورة الموضوع متكاملة واضحة يسلم قياد أولها إلى آخرها.

وفي الختام كانت هذه السطور تذكيرا بصفة الستر لما لها من أهمية في واقع المجتمع الإسلامي، وبياناً لضوابطها وشروطها في ضوء النصوص الشرعية.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا البحث قارئه وكاتبه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

تمهيد: حول صفات الدعاة:

إن الدعوة إلى الله عز وجل هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والربانيين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى؛ لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشر.

"ودعوة الإسلام العظيمة الشاملة لابد لها من دعاة أقوياء يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم بعد أن تشرق بها جوانحهم هم، وتستضئ بها حياتهم. إن هذا الداعية المنشود هو القوة المحركة لعملية الدعوة وحركة سيرها. وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج، لأن شرطها الأول لم يتحقق وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة"[1].

ومن ثمَّ كان إعداد الداعية وتكوينه من ألزم الأمور لنجاح الدعوة، ومن أبرز العناصر الرئيسة في إعداد الدعاة: صفاتهم فلابد لمن يضطلع بهذا الواجب العظيم أن يتصف بصفات المخلصين، وخصال المصلحين الصادقين.

"وصفات الدعاة وعدتهم تشمل كل معطيات الدين الحنيف ومقرراته من أخلاق ونهج ومعاملات وسمت وبصر وروية وعلم ... وكلما قصّر الدعاة في التخلق بأخلاق الإسلام عجزوا بعدئذ عن القيام بواجب الدعوة حق القيام.

ومن تأمل أنساق الحركات الإصلاحية التي تنأى في بعض توجهاتها عن هدي النبوة، ومن تأمل ما يقع فيه بعض الدعاة من أخطاء وزلل وشطط، وجد أن السبب في

(١) ثقافة الداعية، د/ يوسف القرضاوي ص ٦، ط/٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

ذلك هو مجافاة الطريق الأقوم الذي دل عليه كتاب الله تعالى، وهدت إليه سنة نبيه ﷺ فبقدر الاستمساك بمصادر الإسلام والتخلق بأخلاقه، والاتصاف بخصاله الحميدة تكون الدعوة صائبة في منهاجها، هادية في مقاصدها، نائية عن الأهواء والزيغ والضلال"[1].

وبناءً على هذا فإذا كان التحلي بالخلق الفاضل واجباً على آحاد المسلمين ... فما بالك بالداعية الذي يحمل راية الدعوة وشعارها ... وينادي بها بين الناس؟ إن الأنظار إليه أسرع، والخطأ منه أوقع، والنقد عليه أشد، ودعوته يجب أن تكون بحاله قبل مقاله. ولذلك فتخلقه بالخلق الكريم أوجب وألزم، قياماً بحق ما جعل الله على كاهله من الأعباء الجسام في الدعوة إلى الله تعالى.

وإذا تبين وجوب تحلي الدعاة إلى الله بالصفات الحميدة والأخلاق الكريمة فسنعرض في هذا البحث لصفة من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الداعية ألا وهي صفة "الستر" ضماناً لنجاح الدعوة، وتأكيداً على سلوك طريق الحكمة في الدعوة إلى الله.

وفيما يلي عرض لمفردات عنوان الدراسة :

المبحث الأول : التعريف بمفردات عنوان الدراسة :

تطالعنا في هذه الدراسة ثلاث مفردات تحتاج إلى بيان وتعريف باعتبار أن تحديد المصطلحات هي الأرضية المشتركة بين القارئ والكاتب، وهذه المفردات هي :

(صفات - الداعية - الستر) وفيما يلي بيان وتعريف لهذه المفردات :

١ - تعريف الصفات :

الصفات جمع صفة ويصفه وصفاً وصفةً نعته فاتَّصف، وتواصفوا الشيء وصفه بعضهم لبعض والصفة كالعلم والسواد[2].

---

(١) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ص ٦، ٧، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي ٢٩٥/٣، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

ووصف: الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفاً. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء [1].

وقال الجرجاني في التعريفات:

الصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها، والصفة هي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها [2].

وقال الإمام الراغب في المفردات:

الوصف: ذكر الشيء بحليته ونعته، والصفة الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته، والوصف قد يكون حقاً وباطلاً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ [3]. وقوله عز وجل ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [4] تنبيه على أن أكثر صفاته ليس على حسب ما يعتقده كثير من الناس. ويقال اتصف الشيء في عين الناظر إذا احتمل الوصف [5].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الصفات جمع صفة، وهي ما يتحلى به الداعية ويتسم به من خلال [6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ١١٥/٦، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٢) التعريفات، الجرجاني، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ص ١٧٣، ١٧٤، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٣) سورة النحل آية ١١٦.

(٤) سورة الصافات آية ١٨٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٥٢٥، ط١، دار المعرفة بيروت، بدون التاريخ ورقم الطبعة.

(٦) صفات الداعية، د. حمد العمار، ص ١٠، ط١، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

ومما لاشك فيه أن الناس مجبولون على الخطأ فعن أنس أن النبي ﷺ قال: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[1] وإذا كان الخطأ من طبع البشر، ولا يكاد يسلم منه أحد فمن ابتلى بمثل ذلك فليستتر بستر الله وليبادر إلى التوبة النصوح فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله"[2].

أما غيره من الناس عامة، والدعاة خاصة فمطالب بنصحه سراً وإرشاده، والستر على ذنبه وإخفائه لأن هذا هو ما قررته ودعت إليه النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبعد هذا العرض لمفردات عنوان الدراسة أنتقل إلى بيان معاني الستر في القرآن والسنة النبوية.

المبحث الثاني: معاني الستر في القرآن والسنة:

أولاً: معاني الستر في القرآن الكريم:

وبالنظر إلى آيات القرآن الكريم نرى أن لفظ الستر لم يرد بنصه وإنما جاء معناه في صور متعددة، منها:

١- الغفران:

قال الله عز وجل ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[3].

---

(١) رواه الترمذي كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه، رقم ٢٤٩٩، وحسنه الألباني في (صحيح سنن الترمذي رقم ٢٠٢٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: التوبة والإنابة، باب: من ألم فليستتر بستر الله، رقم ٧٦٨٩، ٤/٢٤٤، ص ٥/٣٤٧، وسنده صحيح وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) سورة البقرة آية ٥٨.

قال الإمام الطبري "نتغمد لكم بالرحمة خطاياكم ونسترها عليكم فلا نفضحكم بالعقوبة عليها. وأصل الغفر التغطية والستر، فكل ساتر شيء فهو غافره، ولذلك قيل للبيضة من الحديد التي تتخذ جنة للرأس: مغفر؛ لأنها تغطي الرأس وتجنه وفي قول العرب: أغفر عنه الجهل: أستر عليه جهله بحلمي عنه"[1].

٢- التكفير:

ومنه قوله تعالى ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾[2] يقول الإمام الطبري "ومعنى قوله "لأكفرن" لأغطين لأن الكفر معناه الجحود والتغطية والستر، والتكفير التفعيل من الكفر"[3].

٣- الإخفاء:

ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[4] قال الإمام الطبري "أكاد أخفيها" أي أسترها من نفسي. لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب الستر يقال: قد أخفيت الشيء إذا سترته"[5].

٤- الكفر:

ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[6] قال الإمام ابن كثير "أي غطوا الحق وستروه، وقد كتب الله عليهم ذلك، سواء عليهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ١/٧٢٠، ط١، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٢) سورة المائدة آية ١٢.

(٣) المرجع السابق ٨/٢٤٦.

(٤) سورة طه آية: ١٥.

(٥) جامع البيان، الإمام الطبري، مرجع سابق ١٦/٣٧.

(٦) سورة البقرة آية: ٦.

إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به"[1].

وقال الإمام القرطبي: "وأصل الكفر في كلام العرب: الستر والتغطية ومنه قول الشاعر:

في ليلة كفر النجوم غمامها.

أي سترها، ومنه سمى الليل كافراً؛ لأنه يغطي كل شيء بسواده"[2].

٥- التغطية:

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[4].

قال البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء ﴾ "أي غشاء، والغطاء" ما يغطى به الشيء ويستره"[5].

٦- الإكنان:

ومنه قوله تعالى ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[6].

قال الإمام القرطبي "معناه: سترتم وأضمرتم من التزوج بها بعد انقضاء عدتها، والإكنان: الستر والإخفاء يقال: كننته وأكننته بمعنى واحد، وكننت الشيء إذا سترته بثوب ونحوه، وأكننت الأمر في نفسي"[7].

٧- الجَنّة:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٧٣، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠، ١٩٩٩م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ١/١٨٣، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٣) سورة الكهف، آية: ١٠١.

(٤) سورة ق آية: ٢٢.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١٦/٢٠٩.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٣٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/١٨٩، مرجع سابق.

ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ [1] . قال الإمام القرطبي : "أي ستره بظلمته ومنه الجَنّة والجِنّة والجُنّة والجنين والمِجَن والجن وكله بمعنى الستر. وجنان الليل وادلهمامُه وستره ويقال : جنون الليل أيضاً. ويقال : جَنَّه الليل وأجَنَّه الليل" [2] .

٨- الغمرة :

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [3] قال الإمام القرطبي : "والغمرة في اللغة ما يغمرك ويعلوك؟ وأصله الستر ؛ ومنه الغِمْر الحقد ؛ لأنه يغطي القلب. والغَمْر الماء الكثير لأنه يغطي الأرض. وغَمْر الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء" [4] .

٩- الغشيان :

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [5] قال الإمام الشوكاني : "والغشيان بمعنى التغطية والستر، وبمعنى الإتيان يقال : فلان يغشاني كل حين أي يأتيني" [6] .

١٠- الغمام :

ومنه قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [7] .

قال الإمام البغوي : "والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمى السحاب غماماً

(١) سورة الأنعام آية ٧٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مرجع سابق ٢٥/٤.
(٣) سورة المؤمنون آية : ٥٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مرجع سابق ١٣٠/٦.
(٥) سورة النجم ، آية : ١٦.
(٦) فتح القدير ، الشوكاني ، ١٠٧/٥ ، ط١ ، عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.
(٧) سورة البقرة آية ٥٧.

لأنه يغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كنّ يسترهم فشكوا إلى موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر"[1].

وباستقراء هذه المعاني السابقة نلاحظ أن الستر يدور معناه حول: الغفران - التكفير - الإخفاء - الكفر- والتغطية - الإكنان - الجنة - الغمرة - الغشيان - الغمام.

وعند التأمل الدقيق نرى أن جميع هذه المعاني يرجع إلى معنيين اثنين فقط هما: الإخفاء والتغطية فالمعاني السابقة تدور حول هذين المعنيين.

ومن هنا نعلم أن الأصل في الستر إخفاء عيوب الآخرين وتغطية أخطاء وزلات الغير، وعدم نشرها وإذاعتها في كل مكان، ونعلم أيضاً من مدلول الستر في القرآن الكريم ضرورة أن يستحضر الداعية معنى الإخفاء في كل ما يبوح به مدعويه إليه حتى لا ينشر أسرار الناس، ويكشف أخطاءهم للآخرين، ويستحضر أيضاً معنى التغطية على كل إنسان أخطأ فلا يجتهد في كشف زلاته وعيوبه فإذا كان الله عز وجل قد ستر على الإنسان العاصي فأحرى بالمسلم أن يستر ويغطي على أخطاء وزلات الآخرين من إخوانه المسلمين. وبعد هذا العرض لمعاني الستر في القرآن الكريم نستعرض الآن معاني الستر في السنة النبوية.

ثانياً: معاني الستر في السنة النبوية:

تعددت كلمة "الستر" في أحاديث النبي ﷺ وتواردت معانيها في مواضع مختلفة فقد جاءت كلمة الستر بمعنى:

١- الإخفاء والتغطية:

ومنه في الحديث "كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل

(١) معالم التنزيل، الإمام البغوي، ١/٩٧، ط١، دار طيبة، الرياض ١٤٠٩هـ.

بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه"[1].

٢- صفة من صفات الله:

ومنه قوله ﷺ في الحديث "إن الله عز وجل حيي ستِّير يحب الحياء والسَّتر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر"[2].

٣- الغنى عن الناس والتعفف عن مسألتهم:

ومنه قوله ﷺ في الحديث "الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر..... ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر"[3].

٤- الوقاية:

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث "من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار"[4].

٥- الحاجز والحائل:

ومنه قوله ﷺ في الحديث "من أفضى بيده إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم ٦٠٦٩ ورواه مسلم، كتاب: الزهد، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم ٢٩٩٠.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: الحمام، باب: النهي عن التعري، رقم ٤٠١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود رقم ٣٣٨٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الاعتصام، باب: الأحكام التي تعرف بالدلائل، رقم ٧٣٥٦ ورواه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، حديث رقم ٢٢٩٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، حديث رقم ١٤١٨. رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: فضل الإحسان إلى البنات، رقم ٢٦٢٩.

الوضوء"[1].

٦- الاحتراز والتوقي:

ومنه قوله ﷺ في الحديث "... كان أحدهما لا يستتر من بوله"[2].

٧- سترة المصلى:

ومنه ما جاء عن أنس رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بالمصلى مستتراً بحربة"[3].

وبعد استقراء معاني الستر في القرآن الكريم والسنة النبوية يتضح تعدّد الألفاظ التي تدل على معنى الستر وهو ما يؤكد على أهمية أن صفة الستر من ألزم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله. والذي يخصنا من معاني الستر في السنة هو معنى الإخفاء والتغطية لأنه هو المعنى الذي يتعلق بمضمون هذه الدراسة وإذا كان الأمر كذلك فإن دعوة الإسلام إلى الستر كانت واضحة في كثير من النصوص الشرعية لأن الإسلام ينأى بالمجتمع عن الفضيحة ويحث على شيوع الفضيلة.

والنصوص الشرعية التي تدعو وتقرر مشروعية الستر نتبينها فيما يأتي:

المبحث الثالث: دعوة الإسلام إلى الستر:

استفاض النقل من الكتاب والسنة في الدعوة إلى الستر والنهي عن التجسس وتتبع العورات ورغم أن هذا النهي معلوم لدى عامة المسلمين، ومع ذلك تجد أنَّ من الناس

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ٢/٣٣٣، رقم ٨٣٨٥، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، وقال الأرنؤوط: حديث حسن، الموسوعة الحديثية ١٤/١٣٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: من الكبائر ألا يستتر من بوله، رقم ٢١٦. رواه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول، حديث رقم ٢٩٢.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلوات، باب: ما جاء في الحربة يوم العيد، حديث رقم ١٣٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه رقم ١٠٧٩).

من لا يتورع عن إفشاء الأسرار والتجسس على الآخرين وتتبع عوراتهم. وفيما يلي عرض لبعض الآيات والأحاديث النبوية التي ذكرت في هذا الموضوع.

١- **النصوص القرآنية الورادة في الستر:**

أ - قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(١)].

قال الشيخ السعدي في تفسير لهذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع للقلب والبدن وذلك لغشه لإخوانه المسلمين ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة، وكل هذا من رحمة الله لعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة وأن يحب أحدهم ما يحب لنفسه ويكره له، ما يكره لنفسه ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فلذلك علمكم، وبيَّن لكم ما تجهلونه"[(٢)].

لقد بين الله في الآية السابقة حرمة إشاعة الفاحشة بل مجرد حب الإشاعة وبين أن الذين يحبون ذلك لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة وذلك حرصاً على الستر في المجتمع المسلم وبعداً عن الفاحشة والرذيلة وذلك لأن المجتمع الذي يغلب عليه الطهر، لا يطفح

---

(١) سورة النور آية ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥١٢، ٥١٣، ط٩ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

فيه من الأخبار إلا ما كان طاهراً وعفيفاً، ويبقى المسرّ بالمعصية مستوراً بستر الله عليه إلى أن يتوب، ويستره المؤمنون؛ لئلا يتجاسر على الجهر بها، أو الإصرار عليها، وليكونوا عوناً له على الشيطان، طالما أسرّ واستتر[1].

ب - ودعا القرآن إلى ستر القبيح وإظهار الجميل من الأشياء.

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ ...﴾[2].

قال الإمام القرطبي: أي يستر عليه خلته ولا يهتك ستره[3].

ثم إن الله تعالى اختار لفظ الستر في الدعاء ونزل به جبريل على سيد البشر صلى الله عليه وسلم ففي الحديث "أتاني جبريل فقال يا محمد: جئتك بكلمات لم آت بها أحداً قبلك قل: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر يا عظيم العفو والصفح ويا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا مبتدئ النعم قبل استحقاقها يا رباه ويا سيداه ويا أمنيتاه ويا غاية رغبتاه أسألك أن لا تشوه خلقي بالنار"[4][5].

ج - وبين المولى عز وجل أن من النعم التي أنعم بها على البشر نعمة الستر قال تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[6].

---

(١) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار، ص ٤٥١، ط١ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ص ٣/٣١٠.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/٢٤٠ رقم ٢٠٤٢، وقال: حديث صحيح الإسناد.

(٥) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود، ص ٤١١، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

(٦) سورة لقمان، آية: ٢٠.

قال الإمام السيوطي: أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فالستر من العورات والعيوب، والمرضيُّ عند الله - تعالى- من تخلق بأخلاقه - تعالى- وأنه ستار العيوب، وغفار الذنوب فكيف لا تستر أنت على من هو مثلك أو فوقك أو دونك[1] !!

د - كذلك نهى المولى تبارك وتعالى عن التجسس وتتبع العورات قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: (ولا تجسسوا) أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، ودعوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن زلاته، التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي[3].

هـ - ودعوة الإسلام للستر في القرآن الكريم دعوة يراد بها ستر المسلم وستر عورته وحفظ سره فعندما أسر النبي ﷺ إلى بعض أزواجه سراً، وأخبر من أسر إليها بعدم إفشاء هذا السر، وعندما أبلغت بالسر زوجة أخرى من زوجات النبي ﷺ ما أسر لها، به النبي ﷺ نزلت آيات قرآنية تعتب عليهن إفشاء سره الذي أسر لها، وأمر سبحانه وتعالى التي أفشت السر والتي استمعت الإفشاء بالتوبة إلى الله من هذا الإفشاء.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي ٦٥٦/١١، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية القاهرة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٧٤٥.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ ﴾ [1].

يتضح مما سبق أهمية الستر على المسلم ودعوة القرآن إلى الستر ونهيه عن التجسس وتتبع العورات وإفشاء الأسرار، وبيان أن الستر يدعو إليه القرآن ويرغب فيه، ولا يرضى سبحانه من المسلم أن يكون متجسساً متطلعاً لعورات الآخرين.

٢- النصوص النبوية الواردة في الستر:

لقد جاءت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تدعو إلى الستر وتبين فضله وأهمية الحرص عليه وتنهى عن التجسس وتتبع العورات وتبين عقابه وأهمية تجنبه والبعد عنه.

من هذه الأحاديث:

ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة" [2] فبين رسول الله أن الذي يستر أخاه في الدنيا يستره الله يوم القيامة وروى الإمام أحمد، عن عائشة مرفوعاً من حديث طويل "لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله في الآخرة" [3].

---

(١) سورة التحريم الآيتان ٣، ٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا رقم ٢٥٩٠، ص ١١٣٢.

(٣) رواه الإمام أحمد ١٤٥/٦ عن عائشة حديث رقم ٢٥٦٣٤. وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، الموسوعة الحديثية ٥٦/٤٢.

ومعنى ستره الله في الآخرة أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها إلى أهل الموقف[1].

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه هلك قال: إني ما سترتها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم... الحديث.

فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: "هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة"[4].

---

(١) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود، ص ٤١٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب: المظالم، باب: قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ٦٦/٢ رقم ٢٤٤١ وفي كتاب: التفسير، باب: تفسير هود ١٤٢/٣، ومسلم كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل، حديث رقم ٢٧٦٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر حديث رقم ٢٦٩٩.

(٤) رواه البخاري، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٦٦/٢. ورواه مسلم كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، حديث ٥٨ ج١٦/١٣٤.

وبين رسول الله ﷺ أن من يستر على أخيه عورة يدخله الله الجنة فقال ﷺ "لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله الجنة"[(١)].

وبين ﷺ فضل ستر المسلم بأنه مثل إحياء الموءودة فقال: "من رأى عورة فسترها كان كمن استحيى مؤودة من قبرها"[(٢)] ومن دعوته ﷺ إلى الستر ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إذا زنت الثانية فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شَعْرٍ"[(٣)] التثريب: التوبيخ.

وقد نهى ﷺ عن التجسس وتتبع العورات في كثير من الأحاديث:

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تُؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رَحله" ونظر ابن عمر إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وما أعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك[(٤)].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٨٨/١٧ رقم ٧٩٥، والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك كتاب: الحدود، باب: لا يحب رجل قوماً إلا كان معهم ص ٥٤٨/٥ رقم ٨٢٢٣، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب: بيع العبد الزاني، رقم ٢١٥٢، ورواه مسلم، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى، رقم ١٧٠٣.

(٤) رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في تعظيم المؤمن، حيث رقم ٢٠٣٢ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، رقم ١٦٥٥).

ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الحظر والإباحة، باب: الغيبة، رقم ٥٧٣٣، وقال الألباني: حسن صحيح، ص ٩٨٨.

وفي رواية عن أبي داود قال ﷺ "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"[1].

وبين صلى الله عليه وسلم أن المسلم إذا ابتلى بذنب عليه أن يستتر على نفسه وكذلك إذا رأى غيره مرتكباً لذنب.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعد أن رجم الأسلمي، قال: "اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن أَلَمَّ فليستتر بستر الله وليتب إلى الله فإنه من يُبدِلنا صفحته نقم عليه كتاب الله تعالى عز وجل"[2].

وعن يزيد بن نعيم أن ماعزاً أتى النبي ﷺ فأقر عنده أربع مرات، فأمر برجمه، وقال لهزال: "لو سترته بثوبك كان خير لك"[3] وسبب قول النبي ﷺ لهزال لو سترته بثوبك، أن هزالاً أمر ماعزاً أن يأتي النبي ﷺ فيخبره ما صنع فيستغفر له[4].

وبلغت دعوة الإسلام إلى الستر مبلغاً عظيماً في الحياة الإسلامية فدعا إلى الستر في الفواحش، وأنه أناط الزنا بشهادة أربعة من العدول، يشهدون ويفصحون من غير كناية.

وأمر بالحفاظ على الستر ونهى عن التجسس على البيوت والاطلاع على عورات

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، حديث رقم ٤٨٨٠ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، رقم ٤٠٨٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: التوبة والإنابة، باب: من ألم فليستتر بستر الله، حديث رقم ٧٦٨٩، ٤/٢٤٤، ص ٥/٣٤٧، وسنده صحيح، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الحدود، باب: في الستر على أهل الحدود، حديث رقم ٤٣٧٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود رقم ٩٤٠).

(٤) انظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، ص ٥٠٨، بيت الأفكار الدولية، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

الناس في بيوتهم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه"[2].

وعن أنس رضي الله عنه "أن رجلاً اطلع من بعض حُجر النبي ﷺ فقام إليه النبي بمشقص أو بمشاقص، فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه"[3].

وهذا لأنه نظر إلى داخل البيت خلسة من أهله، والنبي ﷺ لا يرضى هذا للمسلمين لأنه فيه اطلاع على عورات الناس في بيوتهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من تحلم بحُلُم لم يره كلف أن يعقد شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب أو كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ"[4].

مما سبق ذكره من الآيات والأحاديث يتبين مدى حرص الإسلام على الدعوة إلى الستر والبعد عن التجسس، فهذه النصوص الصحيحة ترغّب المسلمين في أن يستر

---

(١) سورة النور، آية ٢٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الديات، باب: من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، حديث رقم ٦٨٨٨، ص ١٣١٣.

ورواه مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم النظر في بيت غيره، رقم ٢١٥٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له، حديث رقم ٦٩٠٠، ص ١٣١٦.

ورواه مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم النظر في بيت غيره، رقم ٢١٥٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: من كذب في حُلُمه، رقم ٧٠٤٢.

بعضهم على بعض، وكم من الخير يحصل للإنسان بسبب ستره على أخيه، إنه يحصل على ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، فياله من فضل عظيم.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً، فينبغي للداعية إلى الله ألا يتتبع عورات المسلمين وزلاتهم، وإذا ما حصل زلل لأحدهم ولم يستوجب حداً ستره وعالجه بنفسه أو بنصحه وتأديبه فربما كان درساً لا ينسى.

وهذا الكلام ليس معناه أن يكون الداعي إلى الله متهاوناً يتغاضى عن المعاصي بحجة الستر على المسلمين فهو يرى المنكرات ويبتعد عنها فحسب[1]، ولكن ستر الداعية له ضوابط وحدود وشروط سوف نبينها فيما يأتي:

المبحث الرابع: ضوابط الستر وشروطه في الإسلام:

"ليس منا من لا يخطئ ولا ينحرف عن سنن الحق، بل إن فينا من الغرائز والطباع ما يميل بنا إلى الرشد والغي، والخير والشر، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدي إليه، ولذلك كان على الإنسان أن ينصح أخاه ويستر عليه عيبه، وهذا الستر هو أهم صفات الداعية إلى الله تعالى، وذلك لأن الدين الإسلامي يدعو إلى الستر وينهى عن التجسس وتتبع العورات كما بينا في المبحث السابق ولكن هنا سوف نبين أن هذا الستر من الداعية يكون مطلوباً منه أحياناً، وأحياناً غير مطلوب بل إنه في بعض الأحوال يباح التجسس والغيبة، وهذا ما سوف نذكره ونوضحه.

١- ستر الداعية وشروطه:

أ- متى يستر الداعية؟

إن الستر المندوب إليه من الداعية هو الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروف بالأذى والفساد وذلك لأن الستر حياة للمستور، الذي يتعامل مع الناس دون أن تشير إليه الأصابع، وتنهشه النظرات، وتقتله عقدة الذنب، وربما كان هذا ما أراده

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ٣٥٦/١، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

رسول الله ﷺ بقوله "من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة"[1].

يقول المناوي في (عون المعبود): وجه الشبه أن الساتر دفع عن المستور الفضيحة بين الناس، التي هي كالموت، فكأنه أحياه كما دفع الموت عن الموءودة من أخرجها من القبر قبل أن تموت[2].

ولقد كان من هدي رسول الله ﷺ أن يؤثر الستر حتى في حق مرتكب الكبيرة ولذلك كان يوجه بقوله "تعافوا الحدود فيما بينكم"[3]، ولئلا تنقل إلى الإمام فتفتضح بإقامة الحد، لعل صاحبها يتوب، فيتوب الله عليه[4].

ومما يستحب للداعية إلى الله ستر عورات المسلمين لأن ستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها سمة أهل الدين، ونحن مأمورون أن نأخذ الظاهر والله يتولى السرائر: فعن مجاهد: "ولا تجسسوا" قال: "خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله"[5].

إن من شأن المسلم أن يستر وينصح.

ومن شأن الفاجر أن يهتك ويفضح.

قال الفضيل: النصح يقترن به السر. والتعيير يقترن به الإعلان[6].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الستر عن المسلم رقم٤٨٩١، وقال الألباني: ضعيف، (ضعيف سنن أبي داود، الألباني رقم ١٠٤٤).

(٢) عون المعبود، أبو الطيب آبادي ١٣/٢٣٥ من شرح الحديث ٤٨٧٠.

(٣) رواه أبو دود، كتاب: الحدود، باب: العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان رقم ٤٣٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود رقم ٣٦٨٠).

(٤) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار، ص ٤٥٢، ٤٥٤.

(٥) جامع البيان، الطبري ١١/٨٦.

(٦) انظر: من الذي يغير المنكر؟ وكيف؟ د/ محمود محمد عمارة، ص ٨٢، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

فنصوص الشريعة الإسلامية بمجموعها كما بينا ترغب المسلمين في أن يستر بعضهم على بعض، وألا يتصيد بعضهم لبعض الهفوات والزلات. بل إن مضمونها يفيد إيجاب ذلك فمن هو الذي لا يرغب أن يستره الله يوم القيامة فمن يبحث عن هذه المنزلة فليسع إليها[1].

والداعي إلى الله ينبغي عليه أن يسعى إلى الستر وعدم إشاعة الفاحشة في المجتمع وذلك امتثالاً لأوامر ربه وأوامر رسوله ﷺ التي تدعو إلى الستر وتنهى عن التجسس وتتبع العورات. وذلك أن الستر يفيد الداعية إلى الله في دعوته ويجعل الناس يقبلون عليه ويقبلون نصيحته ويسرون إليه بأسرارهم والستر على المدعو يجعله يأمن على نفسه افتضاح سره من الداعي، وكذلك الستر مع الذين يرتكبون الخطأ أو الإثم دون تعمد أو بتعمد، ولكن بعد ذلك ندم على ذنبه يجعله لا يعود إلى المعصية ثانية. أما إذا هتك ستره وظهرت معصيته قد يكون في ذلك مدعاة إلى المجاهرة بالمعصية وتكرارها أمام الأعين دون مبالاة أو اكتراث لأن أمره قد ظهر للناس فيفتخر بقدرته على انتهاك محارم الناس والنيل من أعراضهم.

ولكن ستر الداعية إلى الله له شروط يجب توفرها حتى يستر، أما إذا انتفت هذه الشروط فلا يكون مطالباً بالستر.

ب- شروط ستر الداعية:

١- أن يكون الذنب أو الخطأ وقع من ذوي الهيئات والمكانة الذين لم يعرفوا بفسقهم ولا فجورهم، وأما من عرف بفسقه واشتهر بمعاصيه فلا يستحب الستر عليه إلا إذا ترتب على ذلك مفسدة أعظم، والعلة في عدم الستر على من اشتهر بالمعاصي لأن ذلك يزيده شراً ويدفعه للمزيد.

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ٢٤٨/٢، ط٢، دار الوطن، الرياض ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢- أن لا يكون المستور عليه قد تجاوز فسقه لغيره كمن حول بيته لمصنع خمور أو دور بغاء فهذا لا يستر عليه ولا كرامة له لأنه من المفسدين بالأرض، والستر عليه فيه ضرر عظيم على البلاد والعباد.

فالستر يكون لمسلم وقع في معصية وحرص على أن يستر نفسه فانفضح أمام غيره أو عرف أحد من الناس عيب هذا المسلم فهنا يجب الستر عليه.

"فكل من أغلق بابه وستر عورته لا يجوز أن يتجسس عليه إلا أن يظهر بالدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار، أو سماع طمطمة، أو ارتفاع الأصوات بحيث جاوزت حيطان الدار، فمن سمع ذلك من المسؤولين فله دخول الدار لأن التجسس هو طلب الأمارات المعروفة، وهو المنهي عنه، فإذا حصلت الأمارة المعروفة دون طلب عندها يجوز العمل بمقتضاها ولذا لا يجوز اقتحام الدور بالظنون. نظراً لحرمة المساكن في الإسلام وضرورة المحافظة على ما ستره الله تعالى فيها. أما في حالة ظهور الفساد فيجب دفع الضرر والمفسدة ويجوز عندها التجسس"[(١)].

وأما غير ذلك من كشف الأسرار فهو ممنوع "فعن عبدالرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة في المدينة فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضي الله عنه وأخذ بيد عبدالرحمن فقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى. قال عبدالرحمن: أرى قد أتينا ما نهى الله عنه (ولا تجسسوا) فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر رضي الله عنه وتركهم"[(٢)].

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي ٢/٣٢٠، ٣٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/٣٣٣.

٣- لا يعدّ إظهار عيوب من يستعملهم الإمام لجلب الصدقات أو الإشراف على الأوقاف أو كفالة الأيتام أو جرح وتعديل الشهود أو جرح الخاطب عند الزواج من هتك الأستار بل إخفاء عيوب هؤلاء عند السؤال عنهم يعد من الخيانة للأمانة والقدح بهم ليس من الغيبة بشيء بل هو من النصيحة الواجبة.

٤- أن يكون الستر بعد وقوع المعصية وانقضائها، أما إذا كانت المعصية لم تفعل فهنا يجب الإنكار عليه فإن لم يستجب رفع أمره إلى الحاكم لأنه قد ذكّره بربه ونبهه لخطئه وإصراره، وعناده يشي بسوء خلقه وفساد فطرته.

٥- رجال الحسبة أعرف بالمصالح والمفاسد فيقدرون الأمور بقدرها وهم أعرف من غيرهم متى يستر على إنسان ومتى يرفع أمره للحاكم[1].

٦- قيام الدولة عن طريق رجال الأمن أو الحسبة بمتابعة أصحاب الأفكار المنحرفة والضالة والمذاهب الهدامة والمارقين عن الدين والمنحرفين فكرياً وسلوكياً وقطاع الطرق ومروجي المخدرات ومهربيها والسارق والقتلة ومن حوّلوا بيوتهم ومحلاتهم دوراً للبغي أو مصانع للخمور أو صالات للقمار وما شابهه من الجرائم لا يعتبر ذلك من هتك الأستار بل هو من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلها أن تقوم بتعقبهم وتفتيشهم ومراقبتهم ورصد مكالماتهم والتفتيش عنهم وعليهم ومعرفة أوكارهم ومخططاتهم من أجل إقامة حكم الله عليهم لأن ذلك من مهمات الحاكم المسلم وواجباته تحقيقاً للأمن وحماية للبلاد والعباد ولا يمكنها تحقيق ذلك إلا بتتبع أهل الريب والفساد، ولكن لا يكون ذلك بمجرد الظنون والبلاغات الكاذبة المجهولة المصدر ولقوله صلى الله عليه وسلم "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا

(١) للمزيد انظر فتح الباري، ابن حجر ١١٧/٥ والمنهاج بشرح مسلم للنووي ١٣٥/١٦ والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٣٥/١.

تجسسوا...."[1] . فاقتحام الدور والتجسس بمثل هذه الظنون لا يجوز لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

ولكن إن غَلَّبت الظن كوجود قرائن أو أخبار ثقة جاز لها ذلك بل وجب عليها التأكد وعلى الناس مساعدة الحاكم بذلك عن طريق إخبار رجال الأمن ورجال الهيئات حيث كان النبي ﷺ يعلم ما يقوم به أهل النفاق والريب من طرق عدة منها الوحي ومنها ما يصله مباشرة عن أخبارهم من أصحابه رضي الله عنهم ويقاس على ذلك متابعة من عرف عنهم أكل أموال الناس بالباطل وفتح المساهمات الوهمية أو جلب الأموال بطرق غير مشروعة - كغسيل الأموال- فمراقبة هؤلاء وكشفهم لا يعد هتك لأستارهم بل هو قطع لدابرهم وتشريداً لمن خلفهم[3] .

وللاحقة أهل الريب وتتبعهم فإن للإمام وضع العيون عليهم، يقول الإمام الجويني: "إن ظهر في الناس داعي الضلالة وغلب على الظن أنه لا ينكف عن دعوته وشر غائلته فالوجهة: أن يمنعه وينهاه ويتوعده ... ثم يكل به موثقاً حيث لا يشعر به ولا يراه فإن عاد إلى ما نهاه بالغ في تعزيزه، وراعى حد الشرع وتحراه ثم يثني عليه الوعيد

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾، رقم ٦٠٦٦، ص ١٠٥٩.

ورواه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم ٢٥٦٣، ص ١٠٣٤.

(٢) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٣) للاستزادة انظر المحتاج إلى شرح المنهاج ص ٤٥/٨.

والتهديد، ويبالغ في مراقبته من حيث لا يشعر ويرشح مجهولين يجلسون إليه على هيئات متفاوتات ويعتزون إلى مذهبه ويسترشدونه ويتدرجون إلى التعلم والتلقي منه فإن أبدى شيئاً أطلعوا السلطان عليه، فيتسارع إلى تأديبه، والتنكيل به"[(١)].

وفي ذات ليلة خرج عمر بن الخطاب يصطحب عبدالرحمن بن عوف ولما سأل عبدالرحمن: "ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال: رفقة نزلت، ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم"[(٢)].

فعلى المسلمين أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي يتخطفهم الناس بل عليهم الحذر والانتباه واليقظة ومعرفة الأعداء ومخططاتهم قبل أن يبدأوا بتنفيذها.

٢- عدم ستر الداعية وشروطه:

أ- متى لا يستر الداعية؟

لا يشمل الستر من الداعي أولئك المجاهرين بالمعاصي، المتباهين بها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه"[(٣)].

ولاشك أن الإعلان عن فسق هؤلاء مما تفرضه الحكمة تنديداً بصنف من الناس لا يكتفي باقتراف الذنب حتى يشيعه بين الأبرياء تحريضاً على مثله، وهكذا يصفون أنفسهم بوقاحة الإعلان بعد وقاحة العصيان[(٤)].

---

(١) غياث الأمم، الجويني ص ١٦٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري، ٢٠/٥، ط١، المطبعة الحسينية، بدون ذكر التاريخ.

(٣) رواه البخاري: في كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه رقم ٦٠٦٩.

(٤) من الذي يغير المنكر وكيف، د/ محمود محمد عمارة، ص ٨٥.

والداعي إلى الله لا يكون متهاوناً يتغاضى بحجة الستر على المسلمين فهو يرى المنكرات ويبتعد عنها، بل ما شاهده أو تيقن بخبر المخبر الثقة بفساد ما، فعليه ملاحقته والقضاء عليه بالطرق الشرعية كما أن الدعوة إلى ستر المسلم ليست مطلقه بل على الشخص الذي يحب الستر فلا يجهر بالمعصية وليس مشهوراً بالفسق والخنى، وأما إذا كان مشهوراً بالفساد، ويتكرر منه الوقوف في المحرمات، فإنه يجب ردعه وإيقافه عند حده، وإذا كان ممن يسعون في الأرض فساداً فإنه يجب فضحه وتحذير الناس منه[1].

وذلك لأن الداعية يسعى لأن يجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً يغلب فيه الخير، ويكثر فيه أهل الهيئات والمروءات، وقلة أهل الدناءة والشر والمجاهرة بالمعاصي.

يقول الإمام النووي رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم: "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"[2].

"وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، وأما معصية رآه عليها وهو يعد متلبساً بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة"[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: من فعل شيئاً من المنكرات كالفواحش والخمر والعدوان

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ١/٣٥٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠، ص ١٠٤٠.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٥/١٦، ١٦/١٣٥.

وغير ذلك، فإنه يجب الإنكار عليه بحسب القدرة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[(١)].

فإن كان الرجل متستراً بذلك، وليس معلناً له أنكر عليه سراً وستر عليه، كما قال النبي ﷺ: "من ستر عبداً ستره الله في الدنيا والآخرة"[(٢)].

إلا أن يتعدى ضرره، والمتعدّي لابد من كف عدوانه، وإذا نهاه المرء سراً فلم ينته، فعل ما ينكف به من جهر وغيره، إذا كان ذلك أنفع في الدين.

وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره، فلا يسلم عليه، ولا يرد عليه السلام، إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك، من غير مفسدة راجحة[(٣)].

ولكن الأمور التي لا يطالب الداعية إلى الله بالستر فيها محكومة بعدة شروط:

ب- شروط عدم ستر الداعية:

لا شك أنه ورد كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل الستر على المسلمين، ورغّب الإسلام في ذلك ولكن هذا ليس على إطلاقه[(٤)]، فالداعية يقوم

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٤٩ ورواه أبو داود في كتاب: الملاحم، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (صحيح سنن أبي داود، الألباني رقم ٤٣٤٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم ٢٤٤٢، وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم رقم ٢٥٨٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ٢١٧/٢٨، ٢١٨.

(٤) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، خالد عثمان السبت، ط/ المنتدى الإسلامي، لندن: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٢٩٦.

بأعمال المحتسب حيث يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا ريب أن الحكمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تحقيق المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتعطيلها، ولا شك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حريص كل الحرص على قيام تلك المصالح ومراعاتها[1]، فإذا كان ستره على عمل يترتب عليه مفسدة أكبر منه فينبغي عليه عدم الستر وإنكار المنكر، فالمنكر تجب إزالته سواء أكان كبيراً أم صغيراً، ولكن إنكار المنكر له شروط تضبطه، وهذه الشروط لا يجوز للداعية فيها الستر.

الشرط الأول:

أن يكون منكراً يحذره الشرع:

ويحذر من الوقوع فيه سواء كان صغيراً أم كبيراً، فلفظ المنكر يشمل الكبير والصغير، ويشمل كل معصية بصرف النظر عن كون مرتكبها مكلفاً أم غير مكلف؛ فالداعي إلى الله مكلف بعدم الستر على من يرتكب المنكر[2].

الشرط الثاني:

أن يكون موجوداً في الحال:

ومعنى ذلك أن يكون المنكر قائماً في الحال، وهذا يخرج المناكير التي وقعت في الماضي، فلا يعلن عليها ولكن يستر، أما إذا كان المنكر لم يقع ولكن توجد مقدماته وقامت القرائن على وقوعه فلابد من عدم الستر على فاعله، درءاً للفساد واتقاءً للفتنة والضرر[3].

---

(١) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٢١٩.

(٢) انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٤٢، ط٢، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٣) انظر: الحسبة في الإسلام، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ٧٦، مكتبة الرشد، الرياض، بدون ذكر التاريخ، ورقم الطبعة.

الشرط الثالث :

أن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس :

فلقد شمل الإسلام جميع جوانب الحياة للمسلم، وأعطى كل جانب منها حقه، وضمن للإنسان أن يعيش في المجتمع آمناً مطمئناً محترماً وموقراً طالما أنه سالك الطريق المستقيم، وأما إذا حاد عن الطريق فإن الإسلام جعل لكل أمر معوج ما يناسبه من التقويم.

ومن الأمور التي شرعها الإسلام لاحترام الإنسان وأمنه النهي عن التجسس عليه [1].

فلا يجوز للداعية أن يتجسس على أسرار الناس حتى يمنع المنكر أما إذا كان المنكر ظاهراً بدون تجسس فهو مكلف بعد ستر هذا المنكر بل يجب عليه منعه.

الشرط الرابع :

أن يكون المنكر معلوماً بغير اجتهاد :

قال النووي [2] وغيره إنما ينكر ما أجمع على إنكاره، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن كل مجتهد مصيب، والمصيب واحد ولا نعلمه، ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع ولا ينكر أحد على غيره، وإنما ينكرون على من خالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً [3].

٣- النهي عن التجسس وشروطه :

أ- النهي عن التجسس :

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود ٢١٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي ٢٣/٢.

(٣) انظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، الإمام محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم النحاس الدمشقي، ص ٤٢، ٤٣، دار الكتب العلمية بيروت.

من ضوابط الستر التي ينبغي أن يلتزم بها الداعية إلى الله عدم التجسس وتتبع العورات وذلك لأن الإسلام نهى عن التجسس وتتبع العورات لما فيهما من خطر داهم، فلكل بيت أسرار. وفي كل جلسة ما يخفى عن الناس.

فالاطلاع على الناس يفضح أعراضهم، ويكشف ما ستره الله عليهم لذا عد الإسلام التجسس جريمة من الجرائم [(١)].

والمتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية، وتوجيهاتها يرى أنها قد كفلت الأمن والطمأنينة لمجتمعها، ومنعت من التعدي على أي أحد من الناس دون وجه حق، أو دون سبب شرعي، وطريق صحيح.

ومن تلكم الأمور التي كفلتها الشريعة الإسلامية عدم التجسس، وتتبع العورات، وكشف المستور، واعتبرت أن ذلك من حقوق المسلم التي ينبغي مراعاتها واحترامها [(٢)].

قال الله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [(٣)].

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: "قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره" [(٤)].

والنهي في هذه الآية متجه إلى آحاد المسلمين وجماعاتهم بمعنى: ولا تبحثوا عن

---

(١) انظر: أمراض النفوس الغيبة، النميمة، الشهوة من منظور إسلامي إبراهيم محمد الجمل، ٧٦، ط١، دار الكتاب: العربي بيروت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٢) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ٢٠٩، ٢١٠، عام ١٤٢١هـ.

(٣) سورة الحجرات آية ١٢.

(٤) زاد المسير، الإمام ابن الجوزي ٤٧١/٧.

عورات المسلمين ومعايبهم، وتستكشفوا عما ستر الله تعالى. كما قرئ أيضاً بالحاء المهملة (ولا تحسسوا) من الحس الذي هو أثر الجس وغايته، والمراد كما يقول الألوسي على القراءتين: النهي عن تتبع العورات مطلقاً، وعدوه من الكبائر[1].

فالتجسس المنهي عنه في الآية الكريمة هو: تتبع عورات المسلمين وغيرهم، ومحاولة الوصول إلى معرفتها لإشباع دافع نفسي أو غرض معين، وهو أن كان خاصاً بآحاد الناس وأفرادهم فإنه يتناول التجسس الذي تقوم به الجماعات والهيئات بأي صورة من الصور ولأي سبب من الأسباب غير المشروعة التي تستهدف كشف أسرار المؤسسات أو الأفراد[2].

إن التجسس المؤدي إلى فضح العورات لا تسمح به الشريعة الإسلامية بحال من الأحوال، بل نهت عنه فتجسس المسلم على أخيه المسلم حرام بالإجماع، كما أن التجسس على الذميين حرام أيضاً، إن في هذه الآية الكريمة النهي صراحة عن التجسس وتتبع عورات المسلمين والبحث عن ذلك وعن معايبهم والكشف عما ستره الله تعالى، وتناول الذميين بحرمة التجسس عليهم أيضاً. وعدَّه بعض العلماء من الكبائر[3].

وقد نهى الله عن التجسس نهياً عاماً. ويدخل في ذلك أنواع التجسس سواء أكان ذلك بحب الاستطلاع أم لكشف العورات أم لخدمه جهة من الجهات ويشمل الحاكم والمحكوم لأن الخطاب للجميع.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: نادى رسول الله ﷺ حتى اسمع العواتق فقال: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه. لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا

(١) روح المعاني، الألوسي ١٥٧/٢٦.

(٢) انظر: غذاء الألباب: ، السفاريني ٢٦٥/١.

(٣) روح المعاني، الألوسي ١٥٧/٢٦.

عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته"[1].

أفلا يرتدع أولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويسعون لنشر الفضائح وهتك الأستار أن يفضحهم الله ولو كانوا في بيوتهم آمنين وعلى سررهم مطمئنين.

وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم" فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها[2].

قال الطحاوي رحمه الله:

"والمعنى في ذلك عندنا: أن الله تعالى قد أمر عباده بالستر، وألا يكشفوا عن الناس ستره الذي سترهم به فيما يصيبونه مما قد نهاهم عنه لمن سواهم من الناس، فكأن الأمير إذا تتبع ما قد أمر الله بترك تتبعه امتثل الناس ذلك منه وكان ذلك إفسادهم"[3].

قال في عون المعبود: "أي إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك، فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم منك، فيجترؤون على ارتكاب أمثالها مجاهرة"[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته"[5].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤٥/٤٢٤ رقم ١٩٨٠١، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) رواه أبو داود حديث رقم (٤٨٨٨) وقال الألباني، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود رقم ٤٠٨٨).

(٣) انظر: مشكل الآثار، الطحاوي، ١/٨٦، ٨٨.

(٤) انظر: عون المعبود، أبو الطيب آبادي ٣/١٥٩.

(٥) رواه ابن ماجه حديث رقم ٢٥٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٠٦٣)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: إسناده حسن ٣/٢٣٩. الجزء الأول من الحديث عن أبي داود ٤٨٩٣ من حديث ابن عمر وبعض الحديث عن مسلم ٢٦٩٩ من حديث أبي هريرة.

لقد حث الإسلام على الستر على المسلمين وندب إليه قال ﷺ: "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"[1].

فنصوص الكتاب والسنة صريحة في المنع من التجسس، وتحريمه كما سبق ذكره، وذلك لما في التجسس وتتبع عورات المسلمين من إفساد للناس، وكشف مستورهم، وفضح أسرارهم، ولما في ذلك من هتك واضح لحرمتهم، وتعدٍّ بيِّن على حريتهم، وعدم احترام لمشاعرهم، ولما قد يفضي إليه التجسس وانكشاف الأخبار من فتن وعدم استقرار في المجتمع المسلم الآمن، وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يتورعون عن التجسس، ويمتنعون عن تتبع العورات، وتفحص ما خفي من المنكرات، وذلك لدقة فهمهم وسلامة علمهم ورجاحة عقلهم، ووفورة فقههم. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه أتي برجل، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: "إنا نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لناشئ نأخذ به"[2].

ب- متى يجوز التجسس؟

والمتأمل في كلام العلماء رحمهم الله تعالى يجد أنهم يفصلون في مسألة التجسس على أصحاب المنكرات بين حالتين[3].

الحالة الأولى: وهي إذا عمل منكراً شخص ما، واستتر في بيته ولم يبده، أو يظهره، فلا يجوز التجسس عليه، واستطلاع أمره، أو الإنكار عليه، بل يوكل أمره إلى الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري كتاب: المظالم باب: لا يظلم المسلم مسلماً حديث رقم ٢٤٤٢، ورواه مسلم في كتاب: البر والصلة باب: تحريم الظلم حديث رقم ٢٨٥٠.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: النهي عن التجسس رقم ٤٨٩٠. وقال الألباني: صحيح الإسناد. (صحيح سنن أبي داود رقم ٤٠٩٠).

(٣) الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د/ عبدالرحيم المغذوي، ص ٢١١، مرجع سابق.

يقول الإمام أبو يعلي الفرّاء الحنبلي: "فأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عنها، ولا أن يهتك الأستار بها"[1].

وقال الغزالي: "وقد أمرنا بأن نستر ما ستر الله، وننكر على من أبدى لنا صفحته"[2].

وقال جلال الدين العمري: "لا يصح استطلاع ما يتناجى به الناس فيما بينهم تحقيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك من الخطأ أن تفاجئ الرجل بالولوج في بيته أو تسترق السمع على داره، أو تتطلع من الخارج أو تستخبر جيرانه بما يجري في داره تتبعاً لمعصيته، لأنه إن صحَّ أنه يرتكبها في داره فهو مسؤول عنه عند الله عز وجل، ولا يحق لأحد أن يتصدى له ما دامت معصيته منحصرة في داره"[3] فهذه الحالة مطالب كل مسلم وكذلك الداعية إلى الله بعدم التجسس أو محاولة كشف المنكر المستتر، فكل من ستر معاصيه في داره أو أغلق عليه باباً لا يجوز لأحد أن يتجسس عليه.

الحالة الثانية: إذا ظهرت أمارات المنكر، ولاحت علاماته، وارتفعت بيارقه، وعلت أصواته، وذلك كأن تسمع أصوات المزامير، أو يرتفع أصوات السكارى، أو يعلو صوت استغاثة[4]. فإذا خاف الداعي إلى الله وقوع المنكر وفواته يجوز له التجسس.

مثل أن يخبره أحد بأن فلاناً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها ونحو ذلك.

ففي هذه الحالة يجوز له التجسس؛ لأن الأمر إذا وقع حصلت مفسدة مؤكدة لا يمكن تداركها فيما بعد.

يقول الماوردي:

---

(١) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى الفراء ص ٣٩٥.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/٣٢٥.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لجلال الدين العمري ص ٣١٢.

(٤) الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحيم المغذوي، ٢١٣.

أن يكون في ترك التجسس انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات[1].

فكل منكر لم يستتر وظهرت معصيته أياً كانت هذه المعصية مرئية كأن يخرج عند بابه ويضع الفيديو فيه إلى جواره فيه أفلام خليعة أو المسموعة كأن يضع شريطاً به مجون أو المشمومة كأن يظهر رائحة الخمر والمسكر بحيث يشمها الداعي إلى الله فيجوز له التجسس ومنع هذه المنكرات.

ورغم أن التجسس حرام شرعاً إلا أنه أجيز في هذه الحالة للآتي:

١- كون صاحب المنكر لم يراع الاستتار التام على المنكر.

٢- للمحافظة على أحكام الإسلام وأوامره العامة، وخاصة أحكام الظاهر.

٣- لاحترام شعور الصالحين والمستقيمين من المسلمين في المجتمع.

٤- لكون هذا النوع من المنكرات مما يلحق بالمنكرات المجاهر بها.

٥- حتى لا يمكّن لأهل الباطل من ترويج منكراتهم ومعاصيهم.

٦- لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[2].

مما سبق يتضح أن الداعية إلى الله له الحق في التجسس في هذه الحالة ولكن لابد أن يعلم الداعية أن الأصل هو عدم التجسس ولكن التجسس أبيح لشروط وهي:

١- غلبة الظن اجتماع قوم على معصية.

٢- ظهور الأمارات والآثار الدالة على تلك المعصية.

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ٢٥٣ الطبعة الثانية، وانظر الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى ص ٢٨٠، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٥٤.

٣- غلبة الظن على تضرر الآخرين كإزهاق روح أو زنى إذا لم تنتهك الحرمة.

٤- إخبار العدل الثقة بذلك.

وبغير هذه الشروط يكون التجسس مرفوضاً لمن أراد إنكار المنكر[(١)].

٤- النهي عن الغيبة وشروطها:

أ- النهي عن الغيبة:

من ضوابط ستر الداعية إلى الله ترك الغيبة وذلك لحرمتها في الدين الإسلامي ولمنافاتها غرض الدعوة إلى الله، وكذلك لما فيها من هتك أعراض الناس وإفشاء أسرارهم في غيبتهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾[(٢)].

فقد نهى المولى عز وجل عن الغيبة، وذلك لأن ذكر الغير بالنقص والتماس عيوبه، فضلاً عن كونه يؤلم الإنسان ويخدش كرامته؛ فإنه كثير ما يثير الفتن ويقطع الروابط، ويمزق الصلات، وينسى المرء عيوبه.

ومن ثم فإن الإسلام اعتبر هذا التنقص والتحقير، كأكل لحم الأخ الميت، لينفر منه، فكما أن النفس تشمئز من أكل لحم الأخ بعد موته، وتنفر منه فكذلك يجب النفور والاشمئزاز من الغيبة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ فيه نهى عن الغيبة وقد فسرها الشارع

---

(١) فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبدالحميد البلالي، ص ٩٩، ط١، دار الدعوة، الكويت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ص ٢٨٣، دار الكتاب: العربي بيروت.

كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"[(١)].

وروى أبو داود عن عائشة قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا، قال عن مسدد تعني قصيرة، فقال ﷺ: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" قالت وحكيت له إنساناً فقال ﷺ "ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا"[(٢)].

فالرسول ﷺ اعتبر قول السيدة عائشة في حق صفية وهي غائبة غير مقبول بل إنه منهي عنه وهو قول غير فاحش فما بال الغيبة بالسوء والمنكر.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله ﷺ: "أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين"[(٣)][(٤)].

وليس المقصود في هذه الصورة الحديث عن الغيبة وحرمتها ودورها في إثارة الشحناء والبغضاء، فهذا كله معروف وموجود في الأدلة السابقة وغيرها من كتب أهل

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في الغيبة رقم ١٩٣٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي رقم ١٥٧٨)، وذكره الصحيحة برقم ٢٦٦٧، ورواه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: الغيبة، رقم ٤٨٧٤.

(٢) رواه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: الغيبة رقم ٤٨٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود رقم ٤٠٨٠)، ورواه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ٥١ رقم ٢٥٠٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٥١، رقم ١٤٨٤٤ مسند المكثرين، مسند جابر بن عبدالله، ص ١٠٣٢، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، الموسوعة الحديثية ٢٣/٩٧.

(٤) انظر: أمراض النفوس (الغيبة، النميمة، الشهوة) من منظور إسلامي، إبراهيم محمد الجمل، ص ٥٤، ٥٦.

العلم، وإنما المقصود في هذه الصورة هو الحذر من تزيين الشيطان وتلبيسه في إظهار الغيبة أو النميمة أو التشهير في قالب النصيحة والتحذير من الأخطاء والغيرة على دين الله وتعظيم حرمات الله عز وجل ؛ إن هذا هو الخطير في الأمر ؛ إذ لو أن الشخص الواقع في الغيبة والنميمة أقر بذنبه واعترف بتقصيره واستغفر لذنبه لكان الأمر أهون، أما أن يكابر ويلبس على نفسه وعلى الناس بأن قصده النصيحة للأمة من الأخطاء وهو يعلم من نفسه غير ذلك من التشفي أو الحسد، أو التهوين من شأن من وقع منه الخطأ وتنفير الناس عنه ؛ فكل ذلك من المغالطة وتلبيس الشيطان وتزيينه (١).

فالداعية إلى الله يجب أن يكون بعيداً كل البعد عن الغيبة لما في ذلك من كشف لأستار الغائبين وخوض في أعراضهم منهي عنه في الدين الإسلامي فينبغي أن يكون الداعي ناصحاً للمدعوين ساتراً عليهم حافظاً لأسرارهم متحرزاً عن غيبتهم أو ذكر عيوبهم.

ب- متى تجوز الغيبة؟

هناك بعض الحالات التي تقتضي مصالح الناس العامة ومعايشهم الإفصاح عن أشياء خافية، وصفات لا تظهر إلا في هذه المواضع.. لذا رخص الإسلام فيها بشرط لا تخرج عن طبيعتها (٢).

واعلم أن المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور أجاز الإسلام فيها الغيبة :

الأول: التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة، وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً. أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ١/٤٧٧، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) أمراض النفوس (الغيبة، النميمة، الشهوة) من منظور إسلامي، إبراهيم محمد الجمل، ص ٧٧.

الظلم. إذا لا يمكنه استيفاء حقه إلا به.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه، فسلم عليه فلم يرد السلام، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه. فذكر له ذلك فجاء أبوبكر إليه ليطلع ذلك، ولم يكن غيبة عندهم.

الثالث: الاستفتاء، كما يقول للمفتي، ظلمني أبي وزوجتي، أو أخي، فكيف طريقي في الخلاص، والأسلم التعريض، بأن يقول، ما قولك في رجل ظلمه أبوه، أو أخوه أو زوجته، ولكن التعيين مباح بهذا القدر، لما روى عند هند بنت عتبة، أنها قالت للنبي ﷺ، إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني، أنا وولدي، أفآخذ من غير علمه؛ فقال "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"[1] فذكرت الشح، والظلم لها ولولدها، ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الشر، فإذا رأيت فقيهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق، وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه، فلك أن تكشف له بدعته وفسقه، طالما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره، إذ قد يكون الحسد هو الباعث وكذلك المستشار في التزويج، وإيداع الأمانة، له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير، لا على قصد الوقيعة. فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا نصلح لك، فهو الواجب، وفيه الكفاية. وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بغيبة فله أن يصرح به.

إذ قال رسول الله ﷺ "أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس"[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من أجْرَى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة، رقم ٢٢١١، ص ٣٥٢، وصحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: قضية هند، رقم ١٧١٤، ص ٧١٢.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤١٨/١٩ رقم ١٠١٠، ورواه في الصغير ٢١٤/١- ٢١٥، والأوسط (٢٩ مجمع البحرين)، وقال الهيثمي في المجمع ١٤٩/١ وإسناد الأوسط والصغير: حسن ورجاله موثقون، واختلف في بعضهم اختلافاً لا يضر.

وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم، الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه.

الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه، كالأعرج، والأعمش فلا إثم على من يقول.

السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق، كالمخنث، وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وكان مما يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر به، ولا يكره أن يذكر به[1].

مما سبق يتضح أن الداعية إلى الله ينبغي عليه حفظ غيبة غيره وستر حاله وعدم ذكره بسوء سواء كان ما ذكره موجود فيه أم لا إلا في الحالات التي أجيز فيها فله أن يتكلم عنها دون مؤاخذة.

ومما سبق ذكره أيضاً يتضح لنا أن ضوابط الستر التي ينبغي مراعاتها في الداعية إلى الله متعددة وهي مراعاة الحالة التي ينبغي أن يستر فيها، والحالة التي لا يستر فيها. ومراعاة عدم التجسس إلا في حالة الضرورة وبحدود ومراعاة عدم الغيبة إلا في الحالات التي أجيزت فيها الغيبة. وبهذا كان البيان لضوابط الستر وشروطه في الإسلام.

المبحث الخامس: أنواع الستر وتطبيقاته العملية:

لقد أكرم الله - سبحانه- أمة الإسلام بالخيرية وشرفها بالسعادة والمعافاة الدائمة، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية الكريمة أمر الإسلام أتباعه - وخصوصاً الدعاة- بالستر وهو على ضربين:

أ- ستر المؤمن على نفسه. **ب- ستر المؤمن على غيره.**

ولكلٍ من الضربين وسائل يتحقق بها، وسبل أرشد إليها الإسلام حتى لا ينزلق المسلم في مستنقع المجاهرة بالمعصية سواء على نفسه أم غيره، وفي قصة قوم لوط -

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/١٦٢٠، ١٦٢١.

عليه السلام- تتبدَّى المجاهرة بالرذيلة وسفورها بلا حياء ولا تحرج، وانحدار البشرية إلى الدرك الأسفل من الانحراف والشذوذ، وكان ذلك سبب هلاكهم ودمارهم؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

"وفي ضوء التجارب التي مرّت بها الأمم ومرّ بها الأنبياء أراد الإسلام أن يشدد النكير على المجاهرين، التاركين للستر لتبقى لهذه الأمة المحمدية خيريتها ووسطيتها، ولتكون شاملة بين الأمم تمتاز بسموها وشرفها وبتوازنها واعتدالها وبحيائها وشرفها"[2].

وفيما يلي عرض لأنواع الستر ومظاهره وتطبيقاته العملية.

١- أنواع الستر:

أ- ستر المؤمن على نفسه:

لا يحب الله الجهر بالسوء، ولذا علَّم المؤمن إن ارتكب فعلاً قبيحاً، وارتكب خطأ عظيماً، وستر الله عليه فلم يبصره أحد فالواجب عليه أن يستر على نفسه ولا يفضحها فيكشف ستر الله عليه.

ومن هنا تكاثرت النصوص الشرعية التي توجب على المسلم أن يستر على نفسه فهي بمثابة الوسائل التي تعين على تحقيق الستر على النفس ومن ذلك:

١- قوله صلى الله عليه وسلم بعد أن رجم الأسلمي: اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألمَّ فليستتر بستر الله وليتب إلى الله فإنه من يُبدِ لنا صفحته نقم

(١) سورة العنكبوت آية: ٣٤.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص ١٤١، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

عليه كتاب الله عز وجل [1].

٢- وقوله ﷺ "كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت بستر ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه" [2].

قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف لأن المعاصي تذل أهلها، من إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن التعزيز إن لم يوجب حداً، وإذا تمخض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة والذي يجاهر يفوته جميع ذلك [3].

قال الإمام ابن حجر:

"وفي الحديث أيضاً التصريح بذم من يجاهر بالمعصية فيستلزم مدح من يستتر، وإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياءً من ربه ومن الناس منَّ الله عليه بستره إياه، وفيه تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم، والمراد بالذنوب ما يكون بين المرء وربه سبحانه دون مظالم العباد فمقتضى الحديث أنها تحتاج إلى المقاصصة" [4].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال في التخليص صحيح على شرط البخاري، المستدرك ٤/٢٧٢، رقم ٧٦٨٩، ج٥، ص ٣٤٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه، رقم ٦٠٦٩، ورواه مسلم، كتاب: الزهد، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه رقم ٢٩٩٠.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ١٠/٥٠٣، ط٢، دار الريان للتراث القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٤) المرجع السابق ١٠/٥٠٤.

٣- وقوله ﷺ: "لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة"[١].

فهو بشارة للمؤمن الذي يستره ربه بأن ستر الله ينسحب على يوم القيامة أيضاً شريطة ألا يجاهر المرء بذنبه ومعصيته.

فالحديث يشمل:

١- أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف.

٢- ترك محاسبته عليها وترك ذكرها.

هذا والمسلم بصفة عامة مطالب أن يظهر أحسن الأخلاق للناس فقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه: "أظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا"[٢].

وواجب المسلم أن لا يهتك ستر الله قال عثمان بن أبي سودة: لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله تعالى - قيل: كيف يهتك ستر الله تعالى؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس[٣].

٤- عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه"[٤].

وفي هذا الحديث دعوة للمؤمن أن يستر على نفسه إن وقع في ذنب وبشارة له بعفو

---

(١) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا، رقم ٢٥٩٠.

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري ٢٦/٥.

(٣) مكارم الأخلاق ومعاليها، الخرائطي، تحقيق: سعاد سليمان الخندقاوي، ط/ مطبعة المدني، مصر: ١٩٩١م ص ٥٠٤.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم ٧٧٥، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن ١٦٥/٢، والحاكم في المستدرك رقم ٨١٦٥ وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم ٢٢٩/٤.

الله عنه، وترغيب في ترك المجاهرة بالذنب.

٥- عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها دون أن أمسها فاقض فيَّ ما شئت.

فقال له عمر رضي الله عنه: لقد سترك الله لو سترت نفسك[(١)].

وجميع هذه النصوص تحفز المسلم إلى أن يستر على نفسه ليفوز بمغفرة الله - سبحانه- وعفوه عن أخطائه وزلاته قال رجل لعبدالله بن عمر يا أبا عبدالرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال: سمعته يقول: "يدني المؤمن من ربه" وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف. يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)].

ولحرص الإسلام على أن يستر المؤمن نفسه دعاه إلى وجوب الابتعاد عن الشبهة ومواطن التهم فالابتعاد عن ذلك وسيلة تحقق الستر للمسلم.

فمن الستر على النفس أن يزيل اللبس عن نفسه إذا خشي أن يفهم أحد الأمور على غير مقصدها، فهذان رجلان يمران بالنبي ﷺ وهو جالس مع امرأة من نسائه وهي صفية بنت حيي بن أخطب فقال لهما النبي ﷺ "على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي"

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾، رقم ٤٦٨٧. رواه مسلم كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، رقم ٢٧٦٣ واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾ حديث رقم ٤٦٨٥، ورواه مسلم، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل، حديث رقم ٢٧٦٨، والآية سورة هود، آية: ١٨.

فقال: سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: "إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً"[1].

قال ابن حجر رحمه الله:

إن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءاً لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة وتعليماً لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك... وفي الحديث التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار يقول ابن دقيق العيد. ويتأكد هذا في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم"[2].

وقال الإمام النووي في المنهاج:

"في الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم من أن يلقى الشيطان في قلوبهما فيهلكا، وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره"[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الاعتكاف، رقم ٢٠٣٥، ومسلم في كتاب: السلام رقم ٢١٧٤.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق ٤/٢٨٠.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٣٦١، ط١، بيت الأفكار الدولية، بدون ذكر تاريخ النشر.

فالرسول ﷺ خشي أن يظن به ما لا يليق به وحرصاً منه على سلامة قلوب أصحابه، والدعاة وأهل العلم أولى بذلك، فالمسلم يحرص كل الحرص على البعد عن مواطن الريبة، ولذلك قال زيد بن ثابت "إني لأكره أن أرى في مكان يساء بي فيه الظن" وقال الربيع بن يونس: مكتوب في الحكمة من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم.

ومن هنا كان في اتقاء مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم من الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [1] ولذا قال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن، ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين وإنها امرأتي فقال: هلاّ حيث لا يراك أحد من الناس [2].

إن من أعظم الأمور التي يجب أن يحرص عليها المسلم دفع مواطن التهم عن نفسه كوسيلة توصله إلى الستر عن نفسه، وقد حلف رسول الله ﷺ على ثلاثة أشياء ثم قال: "والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم: لا يستر الله عبداً في الدنيا إلا ستره يوم القيامة" [3]. فليستر الإنسان نفسه كما ستره الله.

ب- ستر المؤمن على غيره:

والمسلم بجانب أنه مأمور أن يستر على نفسه فهو مطالب أيضاً أن يستر على غيره من إخوانه المؤمنين، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على تأكيد مبدأ الستر على

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢/١٠٠٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٦/١٤٥ رقم ٢٥١٢١، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

الغير باعتبار أن ذلك من صفات المؤمنين، وأن من كرامة المسلم على الله أنه سبحانه يتولى الدفاع عنه بنفسه، والانتقام له من المسيء إليه، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه في بيته"[1].

فالواجب على المسلم أن يستر إخوانه فإنه لا طاقة له بحرب الله، القادر على كشف عيوبه، وفضح ذنوبه، التي لا يعلمها الناس عنه فإن النفس المريضة مشغوفة بسماع العيوب، وتتبع السقطات وتصدر المجالس في تجريح ذوي الهيئات، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتجاوز عن عثراتهم، ومع أن الله عز وجل "يحب الحياء والستر"[2] وكأنما قرن بين هذين الخلقين - الحياء والستر- لأن الإنسان الذي ينشر عيوب إخوانه، لا يقدم على ذلك إلا بعد أن يهتك كل حجب الحياء، التي يمكن أن تردعه، ولا يستر إلا الحي.

هذا وقد سبق القول عن ضوابط الستر، ومتى يستر الإنسان ومتى لا يستر، وهنا نشير إلى الأمور التي تعين الإنسان على تحقيق الستر على الغير، والذي يعتبر ألزم وأوجب في حق الدعاة إلى الله تعالى فإن الداعي في دعوته مَثَلُه مثلُ الطبيب في مهنته، قد يطلع على بعض العورات ليعالجها، فيجب عليه سترها، وعدم فضح صاحبها[3].

فمن صور الستر على الغير:

حفظ السر ذلك لأن الداعية المعروف في مجتمعه بالعلم والعقل يكون مرجعاً للناس في المشورة وحل المشكلات فهو بينهم كالأب والطبيب لا سيما إذا اشتهر بحفظ السر والأمانة فإن نفوسهم تطمئن إلى الإفضاء بأسرارهم إليه، ويجعلونه مرجعاً لهم في حل

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود رقم ٤٠١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود رقم ٣٣٨٧).

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٦٤، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

مشكلاتهم الفردية والجماعية، والإباحة إليه بما في نفوسهم، وقد يكون عند البعض منهم من المشاكل النفسية والوساوس العقيدية والشرعية ما يتحرج من الإسرار به إلا لمن يثق به غاية الثقة فالداعية المعروف بالتكتم على أسرار الناس يكون محل تقديرهم واحترامهم رفيع القدر والمجلس عندهم.

فحفظ السر من الأدب الرفيع، والستر الجميل:

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم

فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم[1]

قال ابن حجر في فتح الباري: "قال ابن بطال: الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه غضاضة وأكثرهم يقول: إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه غضاضة. قلت - أي ابن حجر- الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى:

١- ما يباح، أو قد يستحب ذكره ولو كره صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك.

٢- وإلى ما يكره مطلقاً وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال.

٣- وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك[2].

إن حفظ الأسرار هي أولى الخطوات في الستر على الناس فبعض الناس ما أن يسمع سراً إلا ويضيق به ذرعاً، فتراه يبحث عمن يخبره بسره، ويفضي إليه بمكنونه، وربما ترتب على إفشاء السر عداوة وفساداً عريضاً.

---

(١) صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي، ص ٧١، ٧٢، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص ١١/ ٨٥.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: "كن حافظاً للسر معروفاً عند الناس بحفظه، فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفضوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت عنهم سر غيرك الذي هم عليه مشفقون، وخصوصاً إذا كان لك اتصال بكل واحد من المتعادين؟ فإن الوسائل لاستخراج ما عندك تكثر وتتعدد من كل من الطرفين، فإياك إياك أن يظفر أحد منهم بشيء من ذلك تصريحاً أو تعريضاً، واعلم أن للناس في استخراج ما عند الإنسان طرقاً دقيقة، ومسالك خفية؛ فاجعل كل احتمال - وإن بعد- على بالك، ولا تؤت من جهة من جهتك؛ فإن هذا من الحزم.

واجزم بأنك لاتندم على الكتمان، وإنما الضرر والندم في العجلة والتسرع والوثوق بالناس ثقة تحملك على ما يضر"[1].

هذا وإن الإنسان الذي يحفظ أسرار الناس ويستر عليهم جدير أن ينال ستر الله في الدنيا والآخرة.

ومن صور الستر على الغير ألا يتتبع عوراتهم بل يكون ساتراً لها "إن الآمر بالمعروف يجب أن يكون همه إصلاح الناس، وليس تتبع عوراتهم وكشفها وإصغاء الأذن لكل متكلم وملاحقة الناس والتنقيب عن زلاتهم وعثراتهم وعوراتهم بل ما ظهر له أخذ به، وما غاب عنه تركه إن النصوص الشرعية من القرآن والسنة ترغب المسلمين في أن يستر بعضهم على بعض، وكم من الخير يحصل للإنسان بسبب ستره على أخيه فينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ألا يتتبع عورات المسلمين وزلاتهم، وإذا ما حصل زلل لأحدهم، ولم يستوجب حداً ستره وعالجه بنفسه أو بنصحه وتأديبه فربما كان درساً لا ينسى"[2].

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٢١٠، ط١، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(٢) صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ص ١١٠، ١١١، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

إن غض الطرف عما يرى الإنسان من عيوب مبدأ أخلاقي، وأدب اجتماعي رفيع، ولو أن كل إنسان علم عيباً أو رأى خطأ في غيره نشره وأشاعه بين الناس ما بقي إنسان سليماً من قالة السوء "إن المسلمين مطلوب منهم أن يستروا أخطاء غيرهم ولو كانت فاحشة منكرة إلا في حالات خاصة منها :

١- أن مرتكب الفاحشة يجهر بها ويعلنها تفاخراً ووقاحة.

٢- أو أن يفعلها على ملأ من الناس وعلم منهم.

٣- أو أن تكون الفاحشة قد انتشرت في الأمة واجترأ عليها الناس.

٤- أو أن تكون حقاً في النفس أو في المال يجب عليه أن يشهد به حتى لا تهدد النفوس وتضيع الأموال، وعلى هذا تحل الأحاديث الواردة في الستر[١].

ومن الناس من يفرح بزلات الآخرين فإذا سمع قبيحاً فرح به ونشره وإذا سمع حسناً ساءه ذلك فطواه وستره.

قال ابن زنجي البغدادي :

يمشون في الناس يبغون العيوب لمن ... لا عيب فيه لكي يستشرف العطب

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا ... شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا[٢]

فهذا العمل من أحقر الأعمال، وأحط الخصال، وصاحبه من أضعف الناس نفساً.

شر الورى بعيوب الناس مشتغل ... مثل الذباب يراعي موطن العلل[٣]

قال ابن حبان رحمه الله :

فمن اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك

(١) الأخوة الإسلامية، عبد رب النبي علي أبو السعود، ص ١٣٢، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان البستي ص ١٨٧.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ٦٣.

عيوب نفسه، فإن أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه[1].

فاللائق بالعاقل أن يشتغل بعيوب نفسه وإذا ما رأى من إخوانه خللاً أو نقصاً فليجتهد في النصح والتصحيح بعيداً عن الثلب والتجريح.

وأشد ما في هذا الباب تتبع عثرات أهل العلم وتصيد زلاتهم وهفواتهم لا بقصد تصحيحها والتنبيه عليها وإنما لتتخذ ذريعة للنيل منهم والطعن فيهم، وتزهيد الناس بهم[2].

ويتضح بهذا أهمية الستر على الناس وعدم تتبع عوراتهم وزلاتهم وحفظ أسرارهم.

٢- مظاهر الستر وتطبيقاته العملية:

وبعد بيان أنواع الستر، وأنه ينقسم إلى نوعين: ستر المسلم على نفسه، وستر المسلم على غيره من الناس وعلى هذا فإنه يتأكد إبراز مظاهر الستر وتطبيقاته العملية في عهد الرسول ﷺ، والصحابة الكرام، والسلف الصالح، وذلك حتى تكون بمثابة نماذج عملية للداعية إلى الله في تطبيق مفهوم الستر، ليتحقق التأسي بإمام الدعاة، وصحابته الكرام.

هذا وقد تكاثرت النصوص الشرعية عن الرسول ﷺ تدعو إلى الستر وتحث عليه، وتطالب المسلم بتطبيقه عملياً على إخوانه، وتعد بالأجر الكبير والثواب الجزيل لمن يستر على أخيه المسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: "من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة"[3].

وعن أبي هريرة - أيضاً- أن الرسول ﷺ قال: "لا يستر عبد عبداً إلا ستره الله

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان البستي، ص ١٢٥.

(٢) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٦٤، ط٣، دار القاسم الرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) تقدم تخريجه.

يوم القيامة"[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة"[2].

وقال ﷺ لرجل من أسلم يقال له هزال - لما قدم ماعز ليقام عليه الحد: "يا هزال لو سترته بثوبك كان خيراً لك"[3].

قال الإمام الغزالي: "وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش، فإن أفحشها الزنا، وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة، وهذا قط لا يتفق، وإن علمه القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات، ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه، بتضييق الطريق في كشفه"[4].

هذا وقد سبق فيما مضى سرد كثير من النصوص التي تدعو وتحفز إلى الستر، ولذلك قال أبوبكر رضي الله عنه: لو وجدت شارباً، لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله.

وقال - أيضاً- رضي الله عنه: لو رأيت أحداً على حدٍّ من حدود الله تعالى ما أخذته ولا دعوت له أحداً حتى يكون معي غيري. وقال بعضهم: كنت قاعداً مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر، فقال هذا نشوان. فقال عبدالله: ابن مسعود: استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشواناً، فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا

---

(١) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: بشارة من ستر الله عليه في الدنيا، حديث رقم ٢٥٩٠، ص ١١٣٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ١٠٠٦/٢.

بسوط فكسر ثمره، ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك، وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به، ما أنت منه ؛ قال عمه. قال عبدالله ما أدبت فأحسنت الأدب، ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه، وإن الله عفو يحب العفو[1].

ومن تطبيقات الستر في عهد عمر رضي الله عنه أنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى، فتسور عليه، فوجد عنده امرأة وعنده خمر. فقال يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل، فإن كنت قد عصيتُ الله واحدة فقد عصيتَ الله فيَّ ثلاثاً، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[2] وقد تجسست، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾[3] وقد تسورت عليَّ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[4] وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام. فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لا أعود إلى مثلها أبداً. فعفا عنه وخرج وتركه[5].

وقد ذكر القرطبي في تفسيره: "عن زيد بن أسلم قال: خرج عمر وعبدالرحمن يعُسان، إذ تبينت لهما نار، فاستأذنا، ففتح الباب، فإذا رجل وامرأة تغنّي وعلى يد

(١) المرجع السابق ٢/١٠٠٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٤) سورة النور، آية: ٢٧.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ٢/١٠٠٨.

الرجل قدح ؛ فقال عمر : وأنت بهذا يا فلان؟ فقال : وأنت بهذا يا أمير المؤمنين قال عمر : فمن هذه منك؟ قال امرأتي ؛ قال فما في هذا القدح؟ قال ماء زلال ؛ فقال للمرأة : وما الذي تغنين؟ فقالت :

تطاول هذا الليل وأسْودّ جانِبُه وأرّقني أن لا خـــليلَ ألاعِـــبُهْ

فوالله لولا اللّهُ أنـــي أراقـــبه لزُعْـزِع مـن هـذا الـسرير جوانبـه

ولكنّ عقلي والحياء يَكُفُّني وأُكْـرِم بَعْلِـي أن تُنـال مَرَاكِبُـهْ[1]

ثم قال الرجل : ما بهذا أمِرْنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : «وَلاَ تَجَسَّسُوا». قال صدقت.

قال القرطبي : "لا يفهم من هذا الخبر أن المرأة كانت غير زوجة الرجل ؛ لأن عمر لا يقرّ على الزنى ، وإنما غنّت بتلك الأبيات تذكاراً لزوجها ، وأنها قالتها في مَغِيبه عنها"[2] .

وأخرج هناد والحارث عن الشعبي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية ، فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت ، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها ، وقد قطعت بعض أوداجها (عروق الذبح في العنق) فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة ، وهي تخطب إلى قوم ، فأخبرتهم من شأنها بالذي كان ، فقال عمر : أتعمد إلى ما ستر الله فتبديه (تظهره) والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة.

---

(١) وردت هذه الأبيات في سياق غير هذا وهو : غياب الزوج عن زوجته لغزوه في العراق ، وكانت المرأة في بيتها وسمعها عمر رضي الله عنه دون أن يكون معها أحد ، انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١٠٨/٣.

(٢) المرجع السابق ٣٣٤/١٦.

وأخرج البيهقي عن الشعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إني وجدت صبياً ووجدت قبطية (ثوب من ثياب مصر رقيق) فيها مائة دينار فأخذته واستأجرت له ظئراً وإن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه، لا أدري أيتهن أمه؛ فقال لها: إذا أتينك فأعلميني ففعلت، فقال لامرأة منهم: أيتكن أم هذا الصبي؟ فقالت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر!! تعمد إلى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها؛ قال: صدقت، ثم قال للمرأة: إذا أتينك فلا تسأليهن عن شيء، وأحسني إلى صبيهن، ثم انصرف[1].

وهكذا كانت تطبيقات الستر في عهد عمر رضي الله عنه فليس هناك حب للتشهير وفضح الناس، ولكنه الالتزام الكامل بنصوص الشرع في الأمر بالستر، وذلك ديدن الصحابة الكرام؛ فعن صالح بن كرز أنه جاء بجارية له زنت إلى الحكم بن أيوب قال: فبينا أنا جالس إذ جاء أنس بن مالك رضي الله عنه فجلس فقال: يا صالح ما هذه الجارية معك؛ قلت: جارية لي بغت فأردت أن أرفعها إلى الإمام ليقيم عليها الحد فقال: لا تفعل رد جاريتك واتق الله واستر عليها قلت ما أنا بفاعل؟ قال: لا تفعل وأطعني، فلم يزل يراجعني حتى رددتها[2].

وأخرج أبو داود والنسائي عن دُخَين أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت لعقبة بن عامر: إن لي جيراناً يشربون الخمر وأنا داع لهم الشُّرَطَ ليأخذوهم، قال: لا تفعل وعظهم وهدِّدهم قال: إني نهيتهم فلم ينتهوا وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم فقال عقبة: ويحك لا تفعل؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال، ٢/١٩٧٧ رقم ٤٠٥٦٨، وانظر: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ص ٥٠٢، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة.

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٢.

ستر عورة فكأنما استحيا موءودة في قبرها"[1].

وأخرج البخاري في الأدب عن بلال بن سعد الأشعري أن معاوية رضي الله عنه كتب إلى أبي الدرداء رضي الله عنه: اكتب إليَّ فساق دمشق فقال: ما لي وفساق دمشق، ومن أين أعرفهم؟ فقال ابنه بلال: أنا اكتبهم، فكتبهم: قال: من أين علمتَ؟ ما عرفت أنهم فساق إلا وأنت منهم، ابدأ بنفسك، ولم يرسل أسماءهم[2].

وعلى نهج الصحابة الكرام سار السلف الصالح في الالتزام بالستر وتطبيقه العملي في حياتهم ليكون ذلك من قبيل الحكمة في الدعوة إلى الله فربما كان تدخل الداعي فيما اجتهد العاصي إخفاءه داعياً إلى إعلانه، فاشتهر أمره، وعلم بإمكان وقوعه من كان يعلم باستحالته ... ومن ثم فربما حاول أن يجرب؟! إلى جانب ما يمكن حدوثه من ذلك العاصي الذي كشفتَ ستره، حين يعاندك .. ليصبح بالعناد مدمناً لهذا الذنب، فتتحمل معه وزره.

قال بعض العارفين: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور عوراتهم وهن للإسلام وأحق شيء بالستر العورة[3].

ويروي ابن سعد في الطبقات: عن عبدالمجيد بن سهيل قال: قدمت خناصرة في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وإذا قوم في بيت أهل خمر وسفه ظاهر، فذكر ذلك

---

(١) كذا في الترغيب ١٧/٤، وقال: رواه أبوداود والنسائي بذكر القصة وبدونها، وابن حبان في صحيحه (٥١٧) واللفظ له، والحاكم ٣٨٤/٤ وقال: صحيح الإسناد، قال المنذري: رجال أسانيدهم ثقات، ولكن اختلف فيه على إبراهيم بن نشيط اختلافاً كثيراً.

(٢) الأدب المفرد، الإمام البخاري، ١٨٨. وراجع: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، مرجع سابق، ٥٠٣.

(٣) غذاء الألباب: شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ط/ ٢ مؤسسة قرطبة: ١٤١٤هـ، ص ٢.

لصاحب شرطة عمر فقلت: إنهم يجتمعون على الخمر إنما هو حانوت، فقال: قد ذكرت ذلك لعمر بن عبدالعزيز فقال: من وارت البيوت فاتركه[1].

ويتضح من خلال ما سبق التطبيقات العملية للستر في عهد الرسول ﷺ، والصحابة الكرام، والسلف الصالح باعتبار أن الستر هو الحافظ للمجتمع من شيوع الفاحشة، والمشجع للعصاة على التوبة والإنابة إلى الله، ولذلك إذا ما سلك الدعاة إلى الله طريق الستر وطبقوه عملياً في المجتمع فلاشك أنه ستكون له ثمرة طيبة في واقع المجتمع.

المبحث السادس: أثر الستر على المجتمع:

جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، والنصيحة طعمها مر وقد تنقلب إلى فضيحة إن أسيئت، ومن واجب الداعية إلى الله أن يجعل النصيحة خالصة لوجه الله ومهذبة يسرّ بها في أذن من يريد نصيحته دون كشف لستره أو فضح لعيوبه.

ولأن الدعوة يقصد بها وجه الله وهي الغاية فلابد وأن يكون للوسيلة من شرف الغاية ما ينأى بها عن التشهير والتنكيل بالعصاة مدفوعين بشهوات الانتقام والاستعلاء والرغبة في كشف المخبوء[2].

والستر دعا الإسلام إليه لما يحققه من فوائد، فالستر له فوائد عظيمة على المجتمع الإسلامي منها:

١- الأجر العظيم المترتب على الستر في الدنيا والآخرة، وذلك واضح في كثير من أحاديث النبي ﷺ التي ترغب في الستر وتبين فضله وثوابه كما سبق ذكره.

٢- إعانة المسلم على التوبة والإقلاع عن الذنب لما يصيبه من حياء وذل

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد؛ تقديم: د. إحسان عباس، ط/ دار صادر، بيروت: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٥/٣٦٥.

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعه أمين عبدالعزيز، ص ١٥٤، ط١، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

وانكسار، وذلك لأن الستر عليه لا يفضحه أمام أعين الناس ولا يظهر ذنبه الذي ارتكبه مما يجعله حريصاً على عدم المجاهرة بالمعصية مرة أخرى حتى لا ينكشف أمره، ويذكر عليه ما سبق أن ارتكبه من إثم. ولأن افتضاح أمره قد يدعوه إلى ارتكاب إثم وذنب آخر.

٣- دحر الشيطان الذي يفرح بالذنوب والمعاصي ويسعد بالفضائح. وضرب لنا عمر بن الخطاب مثالاً في دحر الشيطان.

"أخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنت مع عمر في حج أو عمرة فإذا نحن براكب فقال عمر: أرى هذا يطلبنا، فجاء الرجل فبكى قال: ما شأنك؟ إن كنت غارقاً أعناك، وإن كنت خائفاً أمناك وإلا أن تكون قتلت نفساً فتقتل بها، وإن كنت كرهت جوار قوم حولناك عنهم قال: إني شربت الخمر وأنا أحد بني تميم وإن أبا موسى جلدني وسود وجهي وطاف بي في الناس، وقال: لا تجالسوه، ولا تواكلوه فحدثت نفسي بأحد ثلاث: إما أن اتخذ سيفاً فأضرب به أبا موسى، وإما أن آتيك فتحولني إلى الشام فإنهم لا يعرفونني، وإما أن ألحق بالعدو فآكل معهم وأشرب، فبكى عمر وقال: ما يسرني أنك فعلت وإن لعمر كذا وكذا، وإني كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية، وإنها ليست كالزنا وكتب إلى أبي موسى: سلام عليك أما بعد، فإن فلاناً بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وأيم الله، إن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك في الناس، فإن أردت أن تعلم حق ما أقول لك فعد فأمر الناس أن يجالسوه ويواكلوه، فإن تاب فاقبلوا شهادته، وحمله وأعطاه مائة درهم"[(١)].

تأمل فقه الدعوة فإن القاضي يصدر الحكم أما الداعي فإنه يعين على تنفيذه وتطبيقه ويحرص على المدعو من الشيطان حرصه على نفسه. هذا الفقه يعلمنا إياه عمر

(١) كنز العمال للمتقي الهندي، كتاب: الحدود، رقم ١٣٧٤٦، ١/٦٥٥.

رضي الله عنه وأرضاه مع شارب خمر ووال من ولاة المسلمين بل وصحابي جليل، يهدده لأنه أساء الدعوة وأعان الشيطان على مسلم حتى جعله يفكر في قتله والتخلص منه، أو يلحق بأرض العدو، نتيجة التشهير به والغلظة معه[1].

٤- عدم إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فإن من فوائد الستر جعل المجتمع الإسلامي خالياً من الفواحش الظاهرة في المجتمعات التي لا تتحلى بصفات الدين الإسلامي.

٥- استجابة المسلم لأوامر دينه وتقديم ذلك على رغبات النفس والهوى وذلك لأن المسلم يعلم أن المولى عز وجل طلب من المسلمين الحرص على ستر العيوب وعدم التجسس وتتبع العورات وذلك في كتابه عز وجل وكذلك في سنة نبيه ﷺ فلا يملك المسلم المخلص لدينه إلا الامتثال لهذه الأوامر.

٦- يزرع الحب والألفة في المجتمع فما تتوقع من مسلم سترت عليه وحميته من لوم وعتاب وعقاب؟ لاشك حب وتقدير ومودة خالصة لله عز وجل.

فإذا ستر الداعية على المدعوين ما كان منهم إلا محض محبتهم له وجعله موضع احترامهم وموضع أسرارهم، لأنهم يعلمون أنه رجل يحافظ على السر ويكتمه وينصح بالخير.

٧- الشعور بالسعادة، لأن من ستر مؤمناً يكون كبح جماح نفسه وشهوته ودحر شيطانه، وكذلك لما يعلمه من أنه أتى صفة يحبها المولى تبارك وتعالى ودعا إليها.

٨- تتبع عورات الناس ليس من مكارم الأخلاق، وحب الاستطلاع على أسرار الناس ليس من شيم الرجال وليس من شيم المسلمين ولذلك يكف عنه كل إنسان سوي عنده ضمير حي، بل التجسس وهتك الأستار من سفاسف الأمور، ومحقرات الأعمال.

---

(١) الدعوة قواعد وأصول، جمعه أمين عبدالعزيز، ص ١٥٥.

وكذلك لا يؤمن التقاطع بين الأصدقاء إذا جرت العلاقة بينهم على التجسس والخدعة.

٩- بيان أن المسلم إذا مكن في الأرض أقام شرع الله وحافظ على أسرار الناس وحفظهم من التجسس وتتبع عوراتهم، وذلك يكون متوافقاً مع قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (١).

المبحث السابع: هتك الستر بين الدوافع والموانع:

إذا كنا فيما سبق عرضنا لمفهوم الستر وفضله وفوائده وشروطه وضوابطه وأنواعه وتطبيقاته العملية وضرورة ذلك للداعية إلى الله فإنه يبقى تساؤل:

ما الأمور التي تدفع بالإنسان إلى هتك ستر الآخرين، وما الوسائل التي يستخدمها الإنسان، ومن خلالها يهتك الستر، وكيفية التخلص من هذا الذنب العظيم والإثم الكبير.

ومن خلال ما سيأتي - إن شاء الله - سأعنى بالإجابة على هذه التساؤلات حتى يرعوي من في قلبه مرض، ويكف عن هتك ستر الناس وفضيحتهم فإن الله لا يرضى للمجتمع الإسلامي أن تنتشر فيه الرذيلة، أو تشيع فيه الفاحشة، ولكنه مجتمع قائم على العفة والطهارة والستر في إطار شروطه وضوابطه التي سبق بيانها.

أولاً: دوافع هتك الستر:

١- قلة الوازع الديني وضعف الخوف من الله عز وجل.

وعدم تقدير المصالح والمفاسد وعدم تقدير الأمور يؤدي إلى كشف الأسرار وهتك الأستار، وهذا نتيجة التسرع وعدم الاستشارة لأصحاب الخبرة وحكماء القوم.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤١.

٢- الحقد والحسد الذي يكتنف بعض الأنفس والقلوب المريضة يؤدي لقيام الحاسد بهتك ستر المحسود.

٣- التنافس على المناصب الدنيوية يؤدي بالمنافس إلى تتبع عورة منافسه وهتك أستاره حتى يسقطه من المنافسة ويفضحه ويقلل من أسهمه ومكانته بل قد يزيد على ذلك بظلمه وبهتانه.

٤- قلة العلم الشرعي وعدم معرفة الأحكام الشرعية، ومتى يكون الستر، ومتى لا يكون، وعدم تقدير المفاسد والمصالح، وعدم تقدير الأمور، يؤدي إلى كشف الأستار، وهتك الأستار، وهذا نتيجة التسرع وعدم الاستشارة والتروي فبعض الناس عندما يسارع لفضح مسؤول أو غيره حيث يظن أن ذلك خدمة للإسلام ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1] مع أن هتك ستر بعض الناس قد يؤدي إلى ضرر ومفسدة أعظم من الستر عليهم فالأمور تقدر بقدرها.

٥- عدم التثبت والتبيين وهذه من الطوام فكم ظُلِمَ من برئ وهذا نتيجة الثقة المفرطة بالغير فالتقليد وتصديق الآخرين دون تبين مع أن الله أمر بذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2] وبعض الناس يقول لا فلان ثقة وهذا يعود لقلة علمه حيث لو عرف سبب نزول الآية ومن هو الذي وصفه الله بالفسق هنا لما قال مسلم عند نقله الأخبار بأن فلان ثقة أو غير ثقة حتى يتثبت كما أوجب عليه ربه عز وجل، ناهيك على أن الثقة قد يكون أخذها من غير عدل، وذكر الماوردي: أن من رأى من يأكل في شهر رمضان، لم يقدم على تأديبه، إلا بعد سؤاله عن سبب أكله، إذا التبست أحواله، فربما كان مريضاً

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٤.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

أو مسافراً، ويلزمه السؤال إذا ظهرت منه أمارات الريب، فإن ذكر من الأعذار ما يتحمله حاله كف عن زجره، وأمره بإخفاء أكله، لئلا يعرض نفسه للتهمة، ولا يلزم إحلافه عند الاسترابة بقوله، لأنه موكول إلى أمانته. فإن لم يذكر عذراً، جاهر بالإنكار عليه مجاهرة ردع، وأدبه تأديب زجر، وهكذا لو علم عذره في الأكل أنكر عليه المجاهرة بتعرض نفسه للتهمة، ولئلا يقتدي به من ذوي الجهالة من لا يميز حال عذره من غيره، ... وإذا رأى وقفة رجل مع امرأة في طريق سابل لم تظهر منهما أمارات الريب لم يتعرض عليهما بزجر ولا إنكار، فما يجد الناس بداً من هذا. وإن كانت الوقفة في طريق خال، فخلو المكان ريبة، فينكرها ولا يعجل بالتأديب عليهما، حذراً من أن تكون ذات محرم، وليقل: إن كانت ذات محرم فصنها عن مواقف الريب، وإن كانت أجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى، وليكن زجره بحسب الأمارات[1].

٦- أخذ الأفكار المستوردة من الغرب وهذا واضح من خلال انتشار الصحف المسماة (بالصفراء) في العالم الإسلامي مع الأسف والتي تشد الناس بعناوينها الكبيرة والتي تحمل عناوين (فضيحة فلان) إلى غير ذلك وكل هذا من أجل زيادة الأرصدة المادية وزيادة نسخ التوزيع.

٧- الفضول وحب الاستطلاع عندما تشده العناوين المميزة في الصحف.

٨- الشهوات ويظهر ذلك لمن يقرأ أو يشاهد الأشرطة الإباحية التي فيها فضح وهتك ستر بعض أهل الإسلام، ولو سأل نفسه هل يجوز لي الاطلاع على العورات من غير ضرورة ملحة لما فعل ذلك.

٩- التشفي وتصفية الحسابات وباعث هذا ثأر قديم أو خصومة قائمة أو منافسة غير شريفة كأن يكن غيره قد انتصر عليه في مسابقة على وظيفة ما أو ميز عليه أو قدم

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ٤٠٠، ٤٠٢.

عليه في محفل من المحافل ويكون هذا المميز قد افتضح أمره فيسهم خصمه بنشرها أو يقوم هو بنفسه بتتبع عورته حتى يفضحه.

١٠- التنافس على بعض الأمور الدنيوية كزواج، فيخطب رجل امرأة يرغب بها غيره فيقوم أحد المتنافسين بتتبع عورة أخيه حتى يفسد عليه الزواج، بل قد يزيد عليه بالظلم والبهتان.

١١- الذهول عن الحكم الشرعي وإن شئت فقل النسيان بأن هذا محرم.

١٢- التسرع والتعجل وغالباً ما يندم صاحب هذا السبب لأن نيته قد تكون سليمة.

١٣- المعاملة بالمثل فهناك من هتك ستره وعندما يعرف من الفاعل يقوم بتتبع عورته حتى يرد عليه دينه كما يدعي وهو مأمور شرعاً بعدم خيانة من خانه لقوله ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"[(١)]. قال ابن حجر: اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من حقه دون السلطان[(٢)].

١٤- التفسير الخاطئ للأمور وإنزالها على غير محملها.

١٥- التزلف إلى رئيسه في العمل حتى ينال ثقته من خلال هتكه لأستار زملائه في العمل وكشف أستارهم لرئيسه حتى يرقيه في العمل ويقربه.

١٦- وضع المبررات لنفسه كأن يعتقد بأن في عمله هذا خدمة للإسلام.

ثانياً: وسائل هتك الستر:

وهناك وسائل متعددة يسلكها أصحاب القلوب المريضة ومن أهمها:

١- الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث أصبحت مأوى لأصحاب القلوب

---

(١) رواه أبو داود رقم ٣٥٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود رقم ٣٠١٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٦/٥٥.

المريضة لبث أحقادهم ونفث أضغانهم وإفراغ سخائم قلوبهم.

٢- وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة كالصحافة والإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية.

٣- أجهزة الاتصال عبر خاصية البلوتوث (الجوالات- الموبايل- الخلوي) حيث يتناقل الناس من خلاله مقاطع الفضائح الصوتية والمرئية، وكذلك الأشرطة سواء الكاسيت أو الفيديو أو الأفلام، وتسجيل المكالمات بدون علم أصحابها، والتصوير بالفيديو وغيرها من وسائل التصوير الحديثة.

٤- الكتب والمؤلفات كمن يؤلف مؤلفاً لكشف سرقات بعض المؤلفين وغيرها.

٥- المذكرات التي يضعها بعض المشاهير ويقومون من خلالها بفضح أنفسهم وهتك أستار غيرهم.

٦- الرسائل التي يتبادلها الناس فيما بينهم بشتى أنواعها مكتوبة يدوياً أو إلكترونياً.

٧- المنابر المفتوحة في بعض القنوات أو بعض الدول التي تضع في بعض ميادينها منابر للحرية والتي يتسلط من خلالها بعض مرضى النفوس على عباد الله.

٨- المجالس المفتوحة ومجالس الانتخابات العامة في بعض الدول.

٩- بعض الديوانات والمجالس الخاصة.

ثالثاً: موانع هتك الستر:

مَن تعود أن ينشر لسانه بالفضيحة، واعتاد أن يهتك ستر الناس في كل مكان هناك بعض الأمور التي إن التزم بها تكون عوناً له على التدرب والتعود على الستر، وتكون بمثابة الموانع التي تحجزه عن فعل هذا الأمر القبيح، ويكون ملتزماً بحدود وضوابط الشرع فيه ومن هذه الموانع:

١- الخوف من الله عز وجل سواء بعذابه أو انتقامه منه في الدنيا بفضحه وفي ذلك

يقول الرسول ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه السلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته"(١).

٢- الخوف من الفضيحة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

٣- الطمع في ستر الله يوم القيامة وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: "لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة"(٢).

٤- الخوف من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾(٣).

٥- الخوف من دعاء المظلوم حتى ولو كان ظالم بفعله، فأنت ظالم بهتك ستره وقد قال الرسول ﷺ: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين"(٤).

٦- الخوف من المعاملة بالمثل من الخصوم قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، رقم ٤٨٨٠، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود رقم ٤٠٨٣).

(٢) رواه مسلم كتاب: البر والصلة، باب: بشارة من ستر الله عليه في الدنيا، رقم ٢٥٩٠.

(٣) سورة النور، آية: ١٩.

(٤) رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في العفو والعافية، رقم ٣٥٩٨، وقال الألباني: الشطر الأول منه صحيح، (صحيح سنن الترمذي رقم٢٧٤١)، ورواه ابن ماجه برقم ١٧٥٢، وابن خزيمة برقم ١٩٠١، وابن حبان ٣٤١٩.

مِّثْلُهَا ﴾[1].

٧- أن تجعل نفسك محل المفضوح فما موقفك وقد قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

٨- البعد عن التأويل وتفسير الأحكام الشرعية وفق الأمزجة والأهواء.

٩- الترفع عن سفاسف الأمور والتخلق بمكارم الأخلاق فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً"[3].

١٠- مداومة النظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة الكرام والسلف الصالح ليرى الإنسان التطبيقات العملية للستر في حياة النبي والصحابة الكرام وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

١١- معرفة مدى تأثير هتك الستر على المهتوك ستره، وعلى أسرته وأولاده وقبيلته وبيئته فقد يؤدي هتك الستر إلى الطلاق وقطيعة الرحم وضياع الأولاد وتشريد الأسرة.

١٢- ضرورة التثبت والتبين من الأقوال المنقولة عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣. ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه رقم ٤٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٣٥٥٩. رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٢٣٢٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (١).

١٣- إحسان الظن بالآخرين وحمل الأمور على محمل حسن فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (٢).

١٤- الاعتزاز بالنفس وعدم تقليد الآخرين فيما يفعلون، وعدم مشاركة الناس في باطلهم ولغوهم.

١٥- كف النفس عن رغباتها وحبها للفضول والتطلع إلى الحياة الخاصة للآخرين، وتعويد النفس على الاستفادة من الوقت بمشاهدة وقراءة النافع.

١٦- حب المجتمع الذي تعيش فيه، والحرص على تماسكه وترابطه، وتقوية رباط الأخوة الإسلامية.

وإذا ما التزم المسلم بهذه الأمور فإنه لاشك سيتخلص من عادة هتك الستر وتكون بمثابة موانع تمنعه من فضيحة الناس.

* * *

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى، وإمام الدعاة محمد ﷺ وعلى أصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد كانت هذه الصحائف في بيان صفة الستر وأهميتها للدعاة وتبين من خلالها معاني الستر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكيف أن الإسلام يدعو إلى الستر، ولا يرغب في فضيحة الناس، ويشدد النكير على كل من تسول له نفسه أن يشيع الفاحشة وينقل الرذيلة من حي إلى حي ومن مكان إلى مكان. وكم كان الأجر كبيراً والثواب عظيماً لكل من يستر على أخيه المسلم ويساعد على نشر الفضيلة والعفة في المجتمع.

وقد تبين أيضاً من خلال ما سبق شروط الستر وضوابطه وما هي الحالات التي يستر فيها الداعية، والحالات التي لا يستر فيها وذلك حتى يكون الدعاة على بصيرة من أمرهم وهم يدعون إلى الله عز وجل.

وقد ظهر أيضاً أن الستر يشمل ستر الإنسان على نفسه، وعلى غيره وأن النبي الكريم، وصحابته الكرام والسلف الصالح أعطوا نماذج عملية للستر وتطبيقه في المجتمع ليجد الناس عامة - والدعاة خاصة- القدوة والمثل الصالح في تطبيقات الستر.

وقد وضح أن للستر أثراً على المجتمع بما يتركه من إشاعة الخير والبر والفضيلة والعفاف.

ثم أبنت من خلال هذا البحث عن الدوافع التي قد تغري الإنسان إلى هتك الستر، والوسائل التي قد تستخدم في هذا ثم سردت جملة من الموانع التي تحول بين الإنسان وبين هتك ستر غيره عسى أن تكون هذه الموانع سبباً من أسباب تُعوِّد المؤمن على الستر في أموره كلها وفق الضوابط الشرعية.

وفي ختام هذا البحث أحبّ أن أشير إلى أني بذلت وسعي في إبراز المسائل المتعلقة

بأن الستر من صفات الدعاة التي ينبغي أن يتحلّوا بها، وأن يتعلموا آدابها وشروطها وموانعها، فما كان في هذا العمل من صواب فهو من توفيق الله عز وجل، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان وأسأل الله عز وجل أن يستر عوراتنا، ويغفر لنا زللنا وخطأنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

قائمة المراجع والمصادر:

١- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تخريج وتعليق: خالد عبداللطيف السبع العلمي، ط/دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.

٢- **الأحكام السلطانية**، القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي، تصحيح وتعليق، محمد حامد الفقي، ط/دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣- **إحياء علوم الدين**، الإمام أبو حامد الغزالي، ط/ دار الكتاب العربي، بدون ذكر رقم وتاريخ وبلد الطبعة.

٤- **الأخوة الإسلامية**، عبد رب النبي علي أبو السعود، ط/١، مكتبة وهبة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥- **الآداب الشرعية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، ط/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦- **الأدب المفرد**، الإمام البخاري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٧- **إسلامنا**، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

٨- **الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال**، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ١٤٢١هـ، بدون ذكر رقم ودار وتاريخ وبلد الطبعة.

٩- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"**، خالد عثمان السبت، ط/١ المنتدى الإسلامي، لندن: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة**، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بدون ذكر دار الطبع.

١١- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، جلال الدين العمري، ط/ دار القرآن الكريم، بدون تاريخ.

١٢- **أمراض النفوس: الغيبة، النميمة، الشهوة، من منظور إسلامي**، إبراهيم محمد الجمل، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣- **تاريخ الأمم والملوك**، الإمام الطبري، ط/١، المطبعة الحسينية، بدون ذكر تاريخ الطبع.

١٤- **الترغيب والترهيب**، الإمام أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم المنذري، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

١٥- **التعريفات**، الجرجاني، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ط/١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٦- **تفسير القرآن العظيم**، الإمام الحافظ ابن كثير، ط/٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٧- **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين**، الإمام محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم النحاس الدمشقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر وتاريخ الطبع.

١٨- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٩- **ثقافة الداعية**، د/ يوسف القرضاوي، ط/٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٠- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الإمام ابن جرير الطبري، ط/١، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢١- **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٢- **الجامع لأحكام القرآن**، الإمام أبو عبدالله القرطبي، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٣- **الحسبة في الإسلام**، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/ مكتبة الرشد، الرياض، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

٢٤- **حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته**، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط/٢، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٥- **حياة الصحابة**، محمد يوسف الكاندهلوي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر تاريخ ورقم الصفحة.

٢٦- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، الإمام جلال الدين السيوطي، ط/١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٧- **دراسات تربوية في الأحاديث النبوية**، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٨- **الدعوة قواعد وأصول**، جمعة أمين عبدالعزيز، تقديم، مصطفى مشهور، ط/١، دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٩- **روح المعاني**، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ط/ دار إحياء التراث، بيروت، بدون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.

٣٠- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، ابن حبان البستي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، بدون ذكر رقم الطبعة.

٣١- **الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة**، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٥هـ.

٣٢- **زاد المسير**، ابن الجوزي، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٣- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٤- **السنن الكبرى**، الإمام بن الحسين بن علي البيهقي، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٤-١٣٥٥هـ.

٣٥- **شرح صحيح مسلم**، الإمام يحيى بن شرف النووي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٦- **صحيح ابن حبان**، الإمام أبو حاتم بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.

٣٧- **صحيح البخاري**، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط/٢، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٨- **صحيح الترغيب والترهيب**، الإمام محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٩- **صحيح الجامع الصغير**، محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٠- **صحيح سنن ابن ماجه**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.

٤١- **صحيح سنن أبي داود**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٢- **صحيح سنن الترمذي**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٣- **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ط/١، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٤- **صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر**، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/١، دار الوطن- الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٥- **صفات الداعية الناجح**، صالح بن محمد العليوي، ط/١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٦- **صفات الداعية**، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط/١، دار إشبيليا- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤٧- **صفات الدعاة**، د/ عبدالرب نواب الدين، ط/١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٣هـ.

٤٨- **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، تقديم: د. إحسان عباس، ط/١ دار صادر بيروت: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٩- **عون المعبود**، أبو الطيب آبادي، ضبط وتحقيق د. عبدالرحمن محمد عثمان، ط/٣، دار الفكر، الناشر المكتبة السلفية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٠- **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ط/٢ مؤسسة قرطبة: ١٤١٤هـ.

٥١- **غذاء الألباب**- السفاريني، ط/ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٣هـ.

٥٢- **غياث الأمم في التياث الظلم**، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني، تحقيق د. عبدالعظيم الديب، ط/١، إدارة الشؤون الدينية، قطر، ١٤٠٠هـ.

٥٣- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الإمام ابن حجر العسقلاني، ط/٢، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٤- **فتح القدير**، الإمام الشوكاني، ط/١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥٥- **فقه الدعوة في إنكار المنكر**، عبدالحميد البلالي، ط/١، دار الدعوة الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٦- **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروزآبادي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٥٧- **الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الشيخ عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي، تحقيق د. مصطفى عثمان صميدة، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٥٨- **كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال**، المتقي الهندي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

٥٩- **لسان العرب**، ابن منظور الأفريقي، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الشيخ نورالدين أبو الحسن علي بن أبي بكر، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

٦١- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، وابنه محمد، ط/إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٦٢- **المدخل إلى علم الدعوة**، محمد أبو الفتح البيانوني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٦٣- **المستدرك على الصحيحين**، الإمام أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦٤- **المسند**، الإمام أحمد بن حنبل، ط/١، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦٥- **مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ط/١، دار صادر، بيروت، ١٣٣٣هـ.

٦٦- **المصباح المنير**، أحمد بن علي المقري الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦٧- **معالم التنزيل**، الإمام البغوي، ط/١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٦٨- **المعجم الكبير**، الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني، ط/١، دار إحياء التراث العربي،

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٦٩- **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسن أحمد بن فارس، ط/١، دار الجيل بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧٠- **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ط/١، دار المعرفة بيروت، بدون التاريخ ورقم الطبعة.

٧١- **مكارم الأخلاق ومعاليها**، الخرائطي، تحقيق: معاد سليمان الخندقاوي، ط/ المدني، مصر: ١٩٩١م.

٧٢- **من الذي يغير المنكر وكيف؟** د. محمود محمد عمارة، ط/ دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١، بدون رقم الطبعة.

٧٣- **الموسوعة الحديثية "مسند الإمام أحمد بن حنبل"**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف معالي أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٤- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٧٥- **هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً**، محمود محمد الخزندار، ط/١٠، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٦- **الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها**، محمد بن إبراهيم الحمد، ط/٣، دار القاسم، الرياض، ١٤١٨هـ.

٧٧- **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

* * *